الجرمق

سلسلة منشورات الرأي – ٤

د: عصام سيسالم

بيت المقدس عبر العصور

مركز الرأي للإعلام والنشر

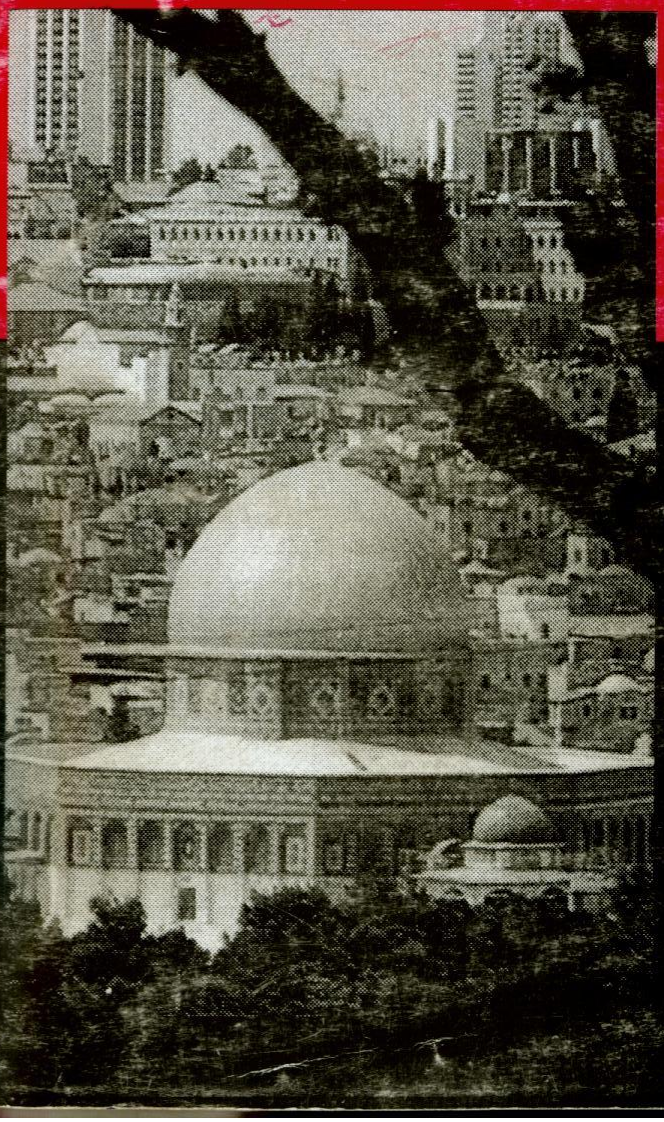

الأخ الدكتور عصام سيالم

مع وافر الاحترام والتقدير

المؤلف

بيت المقدس
عبر العصور

د. عصام سيسالم

مكتبة
د. عصام ناجي سيسالم

بيت المقدس عبر العصور

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م

جميع حقوق الطبع محفوظة

مركز الرأي للإعلام والنشر
غزة شارع الشهداء تليفاكس ٢٨٢٩٦٣٢

تمهيد

بين يديك عزيزي القارئ هذا الكتيب من سلسلة الجرمق وهو حول بيت المقدس عبر العصور التاريخية وهو دراسة كتبها لمجلة الرأي على حلقات أستاذ التاريخ الدكتور عصام سيسالم.

ونظراً لأهمية هذه الدراسة ارتأينا نشرها في هذا الكتيب ليستفيد منها الدارسون والباحثون ونأمل أن نكون من خلال هذا الجهد المتواضع قد قدمنا للقارئ العربي بشكل عام والفلسطيني بشكل خاص إضافة معرفية جديدة حول هذا الجزء العزيز من بلادنا الغالية فلسطين وأن نكون قد أسهمنا في إثراء المكتبة العربية بإصدار جديد.

وبالله التوفيق

مركز الرأي

تقديم

القدس الشريف مدينة عربية قديمة أقيمت قبل اليهودية والمسيحية والإسلام بحوالي ألفي سنة، وأخذت اسمها العبري والغربي من اسمها العربي الأصيل، (أورسالم)، التي دعا فيها النبي العربي إبراهيم الخليل عليه السلام إلى التوحيد ونشر السيد المسيح في رباها رسالة الإسلام والمحبة وبشر بنبي من بعده اسمه أحمد، هي أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين إليها أسري النبي محمد ﷺ ومنها عرج إلى السماء وبايعه فيها جميع الأنبياء.

و تتعرض القدس اليوم إلى هجوم شرس يهدف إلى طمس هويتها العربية، وتزييف تاريخها، وتغيير ملامحها، وطرد سكانها العرب منها.

إن قضية القدس هي أبرز قضايا الإسلام في هذا العصر، وهي المدينة التي تشكل أخطر التحديات للعرب والمسلمين.

لقد حاول الصهاينة إبعاد العرب والمسلمين عن قضية فلسطين وعروسها القدس ووضعها على كاهل الشعب الفلسطيني وحده، بعد أن ظنوا أنهم روضوه وأضعفوه حتى يقبل حلا هزيلا يفرض عليه. ولكن خاب أملهم فالشعب الفلسطيني شعب الجبارين المتمسك بحقه والقدس هي روحه وحلمه.

لقد قام الصهاينة بتزييف التاريخ، ونبش الأرض بحثا عن آثار تؤكد مزاعمهم ولكنهم عادوا خاوي الوفاض، فلم يعثروا على أثر واحد يؤكد مزاعمهم، وهذا ما أكده الباحث العالم (د.عصام) من خلال هذه الدراسة المتواضعة في حجمها العظيمة في معناها وقيمتها العلمية.

فهذه الدراسة جاءت تلقي الأضواء على جوانب مهمة في حياة القدس كتبها من عشق القدس، وناضل من أجلها بالبندقية والقلم، وما زال على العهد.
واستجابة لرغبة الباحث وتشديده على عدم ذكر أي تعريف يشتم منه المدح نقول فقط: إننا بحاجة ماسة إلى هذه الدراسة لتعليمها لأبنائنا ولطلابنا، وتكون هدياً ونبراساً لنا ليذكرنا بالقدس وبالأقصى كل يوم.
والقدس الشريف رغم تعرضها لكل الجور والظلم وقفت على مر العصور شامخة ترد كل الطامعين، والمتعصبين والمغامرين الوافدين، وسوف تظل شامخة بإذن الله بأبنائها الذين يحيطون بها كما يحيط السوار بالمعصم بمنطق الحق، متمثلين لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله عز وجل وهم كذلك. قالوا: يا رسول الله وأين هم؟ قال: ببيت المقدس، وأكناف بيت المقدس".
فمهما تكاثفت السحب الداكنة فوق مدينتنا وأرضنا المقدسة فسوف يأتي الفجر الوضاح المشرق يعيد للقدس حريتها وتسامحها وبهاءها وسموها وسيعلو صوت المؤذنين من مآذنها، وستقرع أجراس الكنائس فيها، ويرتفع علم فلسطين خفاقاً على رواببها وستظل عاصمة شعبنا الفلسطيني إلى الأبد.

د.صلاح حسن العاوور

مقدمة:

القدس، بيت المقدس، أورسالم، مدينة السلام، يبوس العربية الكنعانية إيلياء مدينة الأنبياء، المدينة العربية الخالدة، مهد الحضارة الانسانية منذ فجر التاريخ، ينبوع التوحيد والإيمان ازدهرت عبر العصور التاريخية المتعاقبة، وحملت مشعل الحضارة والنور للإنسانية جمعاء بشموخ جبالها وصلابة صخورها وقدسية ترابها وأصالة شعبها الذي واصل المسيرة الانسانية جيلاً بعد جيل وتصدى لكل الغزاة والمعتدين الذين اندحروا واندثروا، وسيندحر كل من يتطاول على قدس أقداسنا وعاصمة دولتنا التي ظلت تتحدى من يدنس ترابها المقدس بكبرياء وشموخ.

الأرض المقدسة التي باركها الله، عبر دروبها العريقة، وعلى تلافها المضمخة بأريج تاريخنا المجيد وعزة أمتنا، بناها أسلافنا الكنعانيون العرب الأماجد، واندحر كل الغزاة الذين دنسوا ترابها المقدس، ولم يبق على أرضها سوى سكانها الأصلاء، الذين آمنوا منذ فجر التاريخ بالتوحيد على يد الرسل والأنبياء، وكان أولهم النبي العربي إبراهيم الخليل عليه السلام، وكان آخرهم عيسى عليه السلام الذي بشر بنبي من بعده اسمه أحمد، وعمّ السلام الأرض المقدسة التي باركها الله وانتشرت المسيحية، وزالت آخر طائفة يهودية دخيلة على يد الرومان قبل ظهور الإسلام بخمسمائة عام، وأشرق على الإنسانية جمعاء فجر الإسلام، وأسرى بالنبي العربي الكريم محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وسلامه إلى بيت المقدس، وعُرج به إلى السماء، وبايعه جميع الأنبياء، وارتفعت رايات الإسلام خفاقة على أسوار المدينة المقدسة بعد العهدة العمرية، ولم يكن فيها آنذاك يهودي واحد.

ودافع جند الإسلام عن هذه البلاد المباركة عبر العهود العربية الإسلامية المتعاقبة، وتصدوا للعدوان الصليبي، الذي أباد الأقليات اليهودية في أوروبا

والمشرق الإسلامي، ووفرت المجتمعات الإسلامية الملجأ الأمين للطائفة اليهودية من الاشكناز من يهود الخزر والسفرديم من مشردي يهود شبه جزيرة "إيبريه" حتى نهاية العهد العثماني. ومنذ مطلع القرن التاسع عشر أخذت الطوائف اليهودية المنتشرة في شتى أنحاء العالم تتطلع إلى وطن قومي. ومنذ حملة نابليون بونابرت على مصر والشام ١٧٩٩م برزت الدعوة الصهيونية الاستعمارية الاستيطانية التي بلورت دعوتها العدوانية بمخطط لانشاء دولة يهودية، وضع أسسها المؤتمر الصهيوني الذي انعقد في بال بسويسرا ١٨٩٧م، وكانت الحركة الصهيونية قد نجحت في إنشاء أولى المستوطنات في فلسطين منذ عام ١٨٧٠، مستغلة الأوضاع الدولية، وما تعرضت له الطوائف اليهودية من اضطهاد ومذابح في أوروبا الشرقية بصفة خاصة، وقد التقت مصالح الدول الاستعمارية مع المخططات العدوانية الصهيونية في مرحلة كانت تتعرض فيها الدولة العثمانية لتآمر دولي عدواني صليبي، لإنهاء وجودها واقتسام ممتلكاتها بين الدول الاستعمارية التي وجدت في زرع كيان دخيل في فلسطين ما يحقق أهدافها، وقد استغلت الحركة الصهيونية الأساطير والأكاذيب والادعاءات الباطلة لتحقيق أهدافها العدوانية منذ مؤتمر بال ١٨٩٧ المشؤوم، وما زالت حتى اليوم بعد مضي مائة عام على انعقاد هذا المؤتمر تسير على نفس النهج التآمري العدواني وفرض هيمنتها على شعبنا وإملاء إرادتها من موقع القوة لتجريدنا من أرضنا وتشريدنا من وطننا، وحرماننا من حق تقرير المصير، في أن يكون لنا وطن حر كبقية شعوب الأرض وعاصمته القدس الشريف، التي يسعون جاهدين لتهويدها وتشويه معالمها وترحيل سكانها الأصلاء عنها؛ وهم بذلك يدمرون السلام المنشود، والأمل في تحقيق حل عادل يضمن الأمن والسلام وحسن الجوار للجميع.

القدس مدينة السلام
مهد الحضارة العربية
منذ فجر التاريخ

أوروسالم، يبوس الكنعانية ـ مدينة السلام ومهد الحضارة الإنسانية منذ فجر التاريخ، تتمثل هذه الحضارة في الأرض المباركة التي عرفت باسم أرض كنعان وفلسطين، في وادي النطوف، شمالي غرب القدس في مغارة الوادي وكهوف الشقبة، وقد عرفت هذه الحضارة المبكرة في تاريخ الإنسانية جمعاء باسم "الحضارة النطوفية"، وكانت المَعْلم الأول للحضارة في أرض كنعان حوالي ١٢٠٠٠ق.م، واستمرت معالمها البارزة حتى الألف السادس ق.م، وقام سكان "بيت المقدس" وما حولها في ذلك العصر المغرق في القدم بتدجين الحيوانات، وممارسة الزراعة، واستقروا في الكهوف والملاجئ الصخرية على التلال التي تشكلت منها المدينة الخالدة فيما بعد (موريا، وأوفل، وصهيون، وبزيتا) وفي سفوح الوديان المحيطة بها.

وقد عبد سكانها القدماء إلهة الشمس، كما عبدوا الأرض الأم التي قدسها أسلاف الفلسطينيين منذ فجر التاريخ وحتى اليوم والى الأبد، كما برعوا في تشكيل الحجارة واستخدامها كأدوات وأسلحة، وعملوا منها تماثيل، كان من أروعها وأكثرها دقة وجمالاً تمثال صغير لغزال، كما نقشوا على الصخور المطلة على وديان بيت المقدس وفي كهوفها صوراً رائعة لتقدمات نذرية على شكل صور لحيوانات داجنة تمثل أروع تمثيل للفن التشكيلي الفلسطيني القديم في بيت المقدس وما حولها منذ ما يزيد على عشرة آلاف سنة .

أرض كنعان :

وحصل تطور حضاري كبير في بيت المقدس وما حولها في العصر الحجري الحديث ٦٠٠٠- ٤٠٠٠ ق.م، فقد تطورت الزراعة بشكل كبير،وابتكر سكان فلسطين القدماء صناعة الفخار اليدوي، كما اكتشفوا المعادن وبصفة خاصة النحاس، وأصبحت حياتهم أكثر استقراراً، وازداد ارتباطهم بالأرض التي قدسوها منذ فجر تاريخهم وعبر العصور التاريخية اللاحقة المتعاقبة.

ومنذ منتصف الألف الرابع ق.م اندفعت موجات متتابعة من القبائل الرعوية من جزيرة العرب "الوطن الأم" نحو الهلال الخصيب، وكان الكنعانيون من بين هذه القبائل التي استقرت في "أرض كنعان"، وأصبح اسم "كنعان" الاسم الجغرافي والتاريخي المتعارف عليه لفلسطين وقسم كبير من البلاد التي عرفت "بسورية" وبلاد الشام، وهو أول اسم للبلاد التي عرفت بفلسطين، كما أن تعبير لغة كنعان "شفة كنعان" كان يطلق على أقدم لغة عرفت بفلسطين والتي تحدثت بها جميع الشعوب البربرية الغازية التي أغارت على فلسطين في حقب متتابعة في العهود القديمة.

وتعني كلمة كنعان"الأرض المنخفضة" تمييزاً لها عن فينيقيا في "مرتفعات لبنان"، وقد أطلق اليونانيون على الكنعانيين من سكان سواحل "سوريا الشمالية"اسم الفينيقيين" ذلك الشعب العريق في حضارته وتجارته وعبقريته، وكان طيلة العهود القديمة وحتى العهد الروماني سيد البحار، نقل إلى جميع الشعوب القديمة أعظم دعامة من

دعائم الحضارة"الحروف" التي ابتكرها العقل الكنعاني المبدع، كما نشر الصناعات وكافة المبتكرات على سواحل البحر الأبيض المتوسط وجزره وسواحل أسبانيا وشمال غرب أفريقية المطلة على المحيط الأطلسي.

كما تعني كلمة "كنعان" و"فنيقوس" "فينيقيين" الصباغ الأرجواني الذي ابتكره الكنعانيون حيث تردد في النصوص الحورية كناخي KNAGGI وفي الأكدية كناخي KINAKNI وفي مسمارية تل العمارنة "كيناخي KINAKHIوبالفنيقية كنع KENA" أرض كنعان" " بلاد الأرجوان".

ولغة كنعان "شفة كنعان" من أقدم اللغات العربية التي نطقها أهل فلسطين القدماء وهي عربية الجذور، تتماثل في كثير من ألفاظها وتراكيبها اللغوية مع اللغة العربية".

حضارة متميزة :

وقد أطلق العالم النمساوي "شلوتزر"SCHLATZER" على الشعوب التي هاجرت من الجزيرة إلى بلدان الهلال الخصيب ومصر اسم "الشعوب البربرية"زعم أنها انحدرت من "صلب سام" ١٧٨١م متأثراً بمزاعمه هذه بما ورد في التوراة المحرفة، وشاعت هذه التسمية واستغلت استغلالاً فاضحاً من قبل "المتهودين" من شعوب الخزر البربرية والستارديم البربرية، بالرغم من أنها لا تستند إلى واقع تاريخي أو إلى أسس علمية عرقية صحيحة أو وجهة نظر لغوية سليمة. ويؤكد عدد كبير من الباحثين الموضوعيين من العرب مثل

جواد علي، العالم العربي العراقي، والأوروبيين مثل سبرنجر بأن تسمية هذه الشعوب "بالعربية" أكثر تمشياً مع الواقع التاريخي والعلمي، وكان سبرنجر SPRENGER من الذين أيدوا هذا الرأي حيث ذكر بأن جميع الأقوام التي تنسب إلى العرق السامي هم من العرب، ومن بينهم "الكنعانيون والأموريون والأشوريون والبابليون والعبرانيون والآراميون والأدوميون والخشمونيون.." الذين هاجروا من جزيرة العرب" الوطن الأم" لجميع هذه الشعوب، لهذا فإن الاختلاف العرقي بينهم معدوم، ولهجاتهم اللغوية متقاربة الى حد كبير ، وعاشوا بأجمعهم في بلاد الهلال الخصيب، وارتبطوا بعلاقات وثيقة عبر عصور متعاقبة في فترات السلم والحرب، وكان من أبرز هذه الشعوب العربية وأكثرها عراقة وتقدماً وحضارة " الكنعانيون" الذين وصلت حضارتهم المتميزة إلى درجة رفيعة في العصر البرونزي "الألف الثالث" ق.م. وتؤكد الدراسات الاركيولوجية بعد اكتشاف الآثار الكنعانية في تل الحريري" نصوص إبلا" في عام ١٩٧٦ م على وجود حضارة متميزة في بلاد كنعان الشمالية. كما أسس الكنعانيون من العرب القدماء مدناً عريقة في جنوب كنعان وكان من بينها:

١٠- أريحا، وأصل تسميتها من يريحو YERCHO أي مدينة إله القمر.

٢٠- بيت شان "بيسان" أي بيت الإله "شان"

٣٠- مجدو وتدعى اليوم تل المتسلم من "جدد" أي: قطع.

٤- وقرية أربع "كريات أربع"أي مدينة أربع العربي الكنعاني التي عرفت باسم حبري والخليل.

٥- أوروسالم و" ويروسالم" و"يروشيلم"و"شالم" و"شلم" وقد اشتقت هذه الكلمة من اسم الإله الكنعاني سالم""شاليم"و"سلم" ومعناه السلام.

أوروسالم مدينة السلام:

وقد وردت في النصوص المسمارية والأكدية باسمها العربي القديم "أوروسالم" URUSALIM وفي النصوص الآشورية أورشاليمو URSHALIMO، كما وردت في النصوص المصرية القديمة الهيروغليفية "باسم أوشاميم USHAMIM في نص يعود إلى القرن التاسع عشر ق.م، وكانت بلاد كنعان ترتبط بمصر منذ بداية عهد "الأسرات" منذ القرن الثلاثين ق.م. وقد وردت نصوص في عام ٢٤٥٠ق.م توضح العلاقات التجارية بين البلدين الجارين. وقد حرف هذا الاسم الكنعاني العبرانيون الدخلاء من " العرب البائدة" إلى يروشاليم " YERUSHALIM وفي النصوص الإغريقية واللاتينية باسم"هيروسليما HIEROSALYME.

ولقد دعاها العرب في الجاهلية باسمها العربي القديم، ويتضح ذلك من أبيات أعشى قيس يقول فيها:

أفي الطوف خفت على الردى	وكم من رد أهله لم يرم
وقد طفت للمال آفاقه	عمان فحمص فأوريشلم

وقد ذكرها ياقوت الحموي في معجم البلدان بنفس اللفظ"أوريشلم (بالضم ثم السكون وكسر الراء وياء ساكنة وبشين معجمة مفتوحة ولام مكسورة) وكذلك بالفتح وميم، وقد يسكنون اللام فيقولون "أوريشَلْم" كما وردت باسم أوريسلم بالسين المهملة، وباسم "أوريشالوم"، وأوريشلم بتشديد اللام وأوروسالم بفتح الراء .

كما كان من أسماء مدينة السلام الكنعانية العربية القديمة"يبوس" نسبة إلى إحدى القبائل الكنعانية التي استقرت في "المدينة المقدسة" وما حولها، وقد دعاها الفراعنة في كتاباتهم الهيروغليفية باسم "يابيثي" كما وردت في التوراة باسم" مدينة اليبوسيين".

ومن ملوك هذه المدينة العريقة الذين ورد ذكرهم في التوراة "ملكي صادق" ملك شاليم"أورسالم" الكاهن لله العلي الذي بارك إبراهيم الخليل النبي العربي المسلم قائلاً " مبارك أبرام من الله العلي مالك السموات والأرض". وقد أنشأ ملكي صادق" الذي عرف بتقواه وحبه للسلام هيكلاً "هيكالو" لعبادة الله الواحد الأحد (إيل إله الكنعانيين). وبذلك تكون مدينة السلام أول مدينة في التاريخ أرست "عقيدة التوحيد". كما يذكر الإنجيل أن المسيح صار على رتبة ملكي صادق رئيس كهنة إلى الأبد، كما يذكر عنه النص التالي(أنه لا بداءة أيام له ولانهاية حياة) بل هو مشبه بابن الله، ويبقى كاهناً إلى الأبد".

إن التوراة والإنجيل يضفيان على ملكي صادق اسم"ملك السلام"والكاهن الأعلى وصفة الخلود ويرفعانه إلى المنزلة التي جعلت إبراهيم الخليل(عليه السلام) يتلقى منه بركة الإله العلي إله السموات والأرض".

ففي مدينة السلام وضعت جذور الإسلام، الذي عبر عنه الكنعانيون الأوائل بـ "سَلْم، وتأثل هذا المفهوم الخالد في مدينة الأنبياء والمرسلين على يد إبراهيم الخليل النبي العربي المسلم، وقد وردت كلمة السلم في القرآن الكريم بمعنى الإسلام في الآية الكريمة التالية ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾. صدق الله العظيم

كما تأثل الإسلام في أوروسالم" مدينة السلام على يد النبي العربي إبراهيم الخليل (عليه السلام) الذي كان حنيفاً مسلماً ويؤكد ذلك قوله تعالى ﴿ يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم، وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون.. ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين﴾
صدق الله العظيم.

وظل الأحناف في جزيرة العرب التي ارتبط إبراهيم الخليل (عليه السلام) بعشائرها وبقبائلها حتى عهد حفيده من ابنه إسماعيل الرسول الأعظم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وظلت "أوروسالم" تحت حكم ملوكها اليبوسيين ترتبط برباط وثيق مع مدن كنعان ومصر وأرض الرافدين.

ارتباط مصر بمدن كنعان:

وقد عثر على نص مصري قديم يعود إلى القرن التاسع عشر ورد فيه اسم "اوروسالم "باسم أوشاميم، وكانت تخضع آنذاك للنفوذ المصري، وترتبط بمصر بعلاقات وثيقة كبقية مدن كنعان، ومنذ مطلع القرن الثامن عشر ق.م تعرضت "أرض كنعان" إلى غارات من قبائل بربرية هاجرت من سهوب آسيا الوسطى إلى آسيا الصغرى، ومنها اجتاحت أرض كنعان، وعاثت فيها تخريباً، مما أدى إلى هجرة واسعة للكنعانيين والأموريين وكان من بينهم من عرفوا بالعبرانيين فيما بعد، الذين لم يشكلوا في أي فترة من التاريخ عرقاً مميزاً كما يزعمون وكانوا خليطاً من مجموعات عرقية رعوية اقتفت آثار الغزاة من الهكسوس بحثاً عن مراعٍ جديدة في مصر.

وقد أطلق المصريون على الغزاة ومن تبعهم من القبائل الرعوية اسم "حقاوخسوت" (حكام البراري) وكذلك اسم "عامو" أي البرابرة والذين دعاهم باسم الهكسوس"الملوك الرعاة " في وقت لاحق الإغريق، وكان من أهم مراكزهم الرئيسية في أرض كنعان"مدينة قطنا"المشرفية" وشكيم" بلاطة و"شاروهين " تل الفارعة".

وقد ذكرهم المؤرخ اليهودي "يوسيفوس"باسم الرعاة، وربط بينهم وبين العبرانيين كفئة تابعة لهم، وأن العبرانيين خرجوا معهم بعد أن أجلاهم أحمس" أحموسي" مؤسس الأسرة الثامنة عشرة الفرعونية عن مصر (١٥٧٥ ق.م)، التي امتد حكمها من (١٥٧٥ ـ ٩٥٠ ق.م)، وهيمنت على أرض كنعان منذ عهد تحتمس الثالث

(١٤٦٨-١٤٣٦ق.م) بعد معركة مجدو، وترك الحكام الكنعانيين في مدنهم واعتبرهم نواباً عنه باسم "إدنو".

وعندما طرد الهكسوس من مصر اعتبر المصريون أن من قدم معهم وكان في حمايتهم متواطئاً، لهذا لجأت هذه القبائل الرعوية بعد تعرضها للمطاردة إلى الهروب من مصر، ولم يكن هؤلاء الآبقين عرقاً واحداً، بل مجموعة من الناقمين على فراعنة مصر الجدد من الأسرة الثامنة عشرة تحت اسم أبيرو APIRU أي المعترضين والناقمين ومنها اشتقت كلمة عبري.

وكان هذا الرحيل للعناصر الأجنبية المعترضة أمراً عادياً بحيث لم يرد له أي ذكر في الحوليات المصرية، وفضلاً عن ذلك فإن ألواح تل العمارنة وعددها (٣٧٧) وتعود إلى عهد امنحوتب الرابع "أخناتون"(١٣٦٧-١٣٥٠ق.م) والتي تضمنت مراسلات الفرعون مع أمراء وولاة بلاد كنعان، والتي ورد ذكرها في هذه الرسائل "أوروسالم" وحاكمها "عبدو حيبا" الذي كان ينافق أخناتون ويرسل له رسائل تفيض بالولاء ويشكو من جيرانه، وكان يكرر في رسائله بأنه يتمنى أن يقابل الفرعون ويرى عينيه وأن يموت بين يديه، ويعترف بأنه ما ولي منصبه عن أبيه ولا عن أمه ولكن بفضل الفرعون العظيم، ويخبره بأنه فعل كل ما بوسعه، ولكن الكل تخلى عنه، وأن أرضه ستضيع إلى الأبد إذا لم تصله إمدادات مولاه، كما ذكر شكيم " بلاطة" وحاكمها "لابآتو" الذي كان يداهن المصريين

أيضاً، ويكتب لأخناتون رسائل كلها زيف ونفاق وقام بالعدوان على أوروسالم "أوشاميم".

كما كان من بين رسائل تل العمارنة" رسالة من نائب الفرعون في غزة، يشكو لأخناتون من "حاكم أوشاميم" عبدو حيبا قائلاً: إذا كان لاباآتو حاكم شكيم "بلاطة" قد مات وقد ظهر بدلاً منه عبدو حيبا حاكم أوشاميم"أوروسالم".

وكان أخناتون قد دعا لإله واحد يعبده الجميع ويتساوى لديه كل المؤمنين، وظن بأن هذه الدعوة الفريدة في تاريخ مصر يمكن أن تربط بين مصر وأتباعها وجيرانها بروابط أوثق من كل ما قام به أسلافه من جهود في مجالات الحرب والسياسة والمصاهرة، ولكن إهماله لشؤون الحكم والإدارة وخداع مستشاريه وعلى رأسهم الكنعاني "توتو"، وانهيار حلفائه الميتانيين في شمال بلاد كنعان على يد الحثيين، وتمرد أتباعه في بلاد كنعان أدى إلى عدم الاستقرار في مصر وأرض كنعان.

وقام سيتي الأول بالقضاء على حركات التمرد وأعاد السلام من جديد إلى الدولة المصرية، وبعد وفاة سيتي الأول (١٢٩٠ق.م) خلفه ابنه رعمسيس الثاني (١٢٩٠ ــ ١٢٢٤ ق.م)، وكان من فراعنة مصر العظام وطال عهده ٦٧ عاماً، تمكن خلاله من تحقيق انتصار عسكري على الحثيين في معركة قادش، وتوقيع صلح مع ختوسيل ملك الحثيين (١٢٧٠ق.م). وخلد نصره بنصبين على التلة الصخرية المطلة على نهر الكلب بساحل لبنان، وبنى عاصمة كبرى في مصر

بعد انتصاره، دعيت باسم" برعموس" (دار رعمسيس) في أرض جوشن بشرق الدلتا.

وزعم بعض المؤرخين بأنه استخدم العبيد ممن عرفوا فيما بعد بالعبرانيين (الأبيرو) أي المعترضين والناقمين، واعتمدوا في ذلك على قصص سفر الخروج في التوراة وهو ربط لا يزال في مرحلة الفرضيات، لا تدعمه النصوص التاريخية، وخلف رعمسيس الثاني ابنه مرنبتاح ١٢٢٤ق.م الذي ورد في الآثار التي تركها على معبد الكرنك أن من بين الأقوام التي أخضعتها جيوشه" الاسرائيليين"، وكانت أول وآخر مرة يرد ذكرهم في النصوص المصرية، مع الأخذ في الاعتبار بأنه كانت هناك بلدة كنعانية في جنوب"كنعان" تدعى بإسرائيل فهل كانت هي المقصودة بالنص المشار إليه الذي ورد فيه ما يلي دمرت إسرائيل، وأبيد شعب الإسرائيليين، ولم يبق لهم جذور ولا نسل"وليس في هذا النص أي كلمة أخرى عن "إسرائيل" وقد دعت هذه العبارة المؤرخين إلى التساؤل عن مدى ارتباط هذا النص بخروج بني إسرائيل من مصر اعتماداً على نصوص التوراة، وهل كان ذلك، إن صحت هذه الرواية، في عهد مرنبتاح أم قبله، وهل مرنبتاح هو"فرعون موسى" أم غيره، ولم يتوفر حتى الآن أدلة كافية تثبت خروج بني إسرائيل من مصر في عهد هذا الفرعون أو نفيه، ويبدو أن قرائن النفي أقوى من قرائن الإثبات.

الفلسطينيون

ومنذ عهد الفرعون مرنبتاح بدأت غارات" شعوب البحر على سواحل مصر، واشتد خطرها في عهد رعمسيس الثالث الذي تصدى لها برا وبحراً ١١٥٧ ق.م واستقرت جماعات كبيرة من هؤلاء الغزاة في جنوب أرض كنعان وهم "البلستيون "الذين احتفظ التاريخ باسمهم للأرض التي سكنوها "فلسطين" ولا يرجع ذلك لكونهم كانوا الأغلبية فيها أو أنهم بسطوا سيادتهم عليها، وإنما يرجع إلى أنهم من أواخر الهجرات الكبيرة التي استقرت فيها واندمجت سلماً بسكانها، كما أن ترديد التوراة لاسمهم ترك أثره في تسميتها باسم فلسطين.

واندمج هؤلاء البلستيون "الفلسطينيون" بسكان أرض جنوب كنعان"شيئا فشيئاً وأصبحوا قومية واحدة وقوة عسكرية قوية في مواجهة الأبيرو" العبرانيين"، وقام رعمسيس الثالث بعد انتصاره على غزاة البحر بتثبيت دعائم الحكم المصري في "أرض كنعان" وعادت "أورسالم" أوشاميم كما كانت من قبل تحت الحكم المصري وقام المصريون ببناء هياكل للاله آمون في مدن كنعان "فلسطين".

وترسخت العلاقات من جديد بين مصر" وفلسطين" في أرض كنعان وتمازجت العقائد والثقافات وانتشرت في كلا البلدين عبادة بعل وعشترة وعنات وقدس، جنباً إلى جنب مع آلهة مصر آمون ومونتو وست".

وبعد وفاة رعمسيس الثالث ١١٥١ق.م تعاقب على حكم مصر ثمانية فراعنة من أسرته باسم "رعمسيس"ابتداء من رعمسيس

الرابع حتى الحادي عشر الذي توفي ١٠٨٧ق.م ، وقد أعقب وفاته تولي كهنة معبد آمون الحكم في مصر"الأسرة الحادية والعشرين الثيوقراطية ١٠٨٧-٩٤٥ ق.م وخلال هذه الفترة اضمحل النفوذ المصري في أرض كنعان وانشغلت شعوب الشرق الأدنى بمشاكلها الاقليمية، واستقرت شعوب البحر في مواطنها الجديدة وقامت الدويلات والطوائف بمحاولة إثبات وجودها على حساب جيرانها، واشتبك الأشوريون مع الأراميين في نزاع طويل كما شهد جنوب أرض كنعان "فلسطين" صراع قبائل العبرانيين من شذاذ الآفاق فيما بينهم على الحكم والزعامة الدينية وكذلك حروبهم مع دويلات الكنعانيين والآراميين والعمونيين والأدوميين والفلسطينيين، وأسفر هذا الصراع الدموي في فترة انهارت فيها مصر في عهد الأسرة الثيوقراطية من كهنة آمون عن تشكل كيانات جديدة في جنوب كنعان"فلسطين" ولم يعثر على نص موثق عنها ومصدرها الوحيد التوراة.

شريعة الغاب:

ومن الثابت أن التوراة الحالية دونها الكهنة في فترة السبي البابلي، والتي شاعت في القرن الخامس ق.م، هي غير الشريعة التي جاء بها موسى(ع) الذي قاد كما تزعم التوراة فلولاً من العبيد الآبقين، الذين تمردوا عليه، وعادوا لعبادة العجل "أبيس" وانحدروا إلى مستنقع الوثنية، وعاثوا فسادا وتخريباً في أرض كنعان، باسم "يهوه" رب الجنود. وكان ذلك في القرن الثالث عشر ق.م أي

قبل ثمانمائة سنة من تدوين الكهنة للتوراة المحرفة، التي شاعت على لسان عزرا الكاهن، الذي زعم بأنه كاتب شريعة الله.

ويقول الدكتور سوسة في كتابه الرائع" العرب واليهود في التاريخ" بهذا الصدد ما يلي : إن الشريعة السماوية التي نزلت على موسى عليه السلام والتي حرفها الأحبار هي صهيونية اليوم بعينها. لكونها تهدف كما تهدف الحركة الصهيونية الحالية إلى استغلال عاطفة الدين وفق نصوص صيغت في السبي البابلي من أجل خلق دوافع تحث الأسرى إلى العودة ثانية إلى الأرض التي اغتصبوها وعاثوا فيها تخريباً، لاغتصابها من جديد! وإن شريعة كهذه تحث على حرب إبادة لكافة الشعوب من غير اليهود، هي شريعة الغاب التي ترتكز على العدوان والاغتصاب، ولن يكتب لها البقاء، وهذا ما أكدته أحداث التاريخ على مر العصور.

وقد ورد في القرآن الكريم ما يشير إلى أن أحبار اليهود حرفوا التوراة لتحقيق مآربهم الدنيئة، ففي الآية (٧٩) من سورة البقرة قوله تعالى: ﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم، ثم يقولون هذا من عند الله، ليشتروا به ثمناً قليلاً، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾.

كما تؤكد الآية التالية هذا التحريف المتعمد:﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه..﴾ سورة النساء آية ٤٦.

كما كتب الكهنة اليهود "التلمود" واعتبروه من الكتب المنزلة، وهي سجل حافل لشرائعهم العنصرية المضللة، وتاريخهم الأسود

الدموي، ويتألف من قسمين الأول "المشناه" ويتضمن الشرائع التي كتبها الكهنة تحت إشراف "الخاخام يهوذا" والقسم الثاني "الجمارة" ويتضمن توضيحات وتعليقات وتفاسير لهذه الشرائع المزيفة.

وهناك تلمودان: التلمود البابلي والتلمود الأورشليمي، وقد اعتبر الكهنة من اليهود التلمود أفضل من التوراة " وأن لا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود وآمن بالتوراة وحدها، لأن أقوال علماء التلمود على حد زعمهم أفضل مما جاء في شريعة موسى!

وزعموا بأن التلمود كلام الله مهما كان فيه من تناقض، وأن الله تعالى على حد زعمهم يستشير الخاخامات على الأرض عندما تكون هناك معضلة لا يمكن حلها في السماء! ويذكر العالم الكبير رجاء جارودي بهذا الصدد ما يلي: وبتحليل نصوص التوراة لنستخلص منها ما ورد فيها عن تاريخهم الأسود يتضح لنا بأن رئيس عصابة من المرتزقة تمكن على رأس عصابته من الاستيلاء على "أوروسالم" الكنعانية وأن سكانها الأصلاء من اليبوسيين واصلوا حياتهم فيها. ويشير إلى ذلك إصحاح يوشع(١٥) الآية (٦٣) التي ورد فيها ما يلي: "وأما اليبوسيون الساكنون في أورشليم ، فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم، فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا في اوروشليم" كما تعترف التوراة بأنه لا يوجد للعبرانيين أية صلة بتاريخ أوروسالم القديم لا من حيث التسمية أو القومية، فعندما خاطب حزقيال أوروسالم قال"أبوك أموري وأمك حثية".

وذلك لكون ملوك أوروسالم من العموريين "أبناء عمري" كما ورد في توراتهم التي اعتبرت "أدوني صادق" آخر ملوك أوروسالم من العموريين. "واستنجد أدوني صادق ملك أوروسالم "بهوهام" ملك حبري"حبرون" الخليل "وافرام ملك" "يرموط".. "ويافع" ملك لخيش، ودبير ملك عجلون في مواجهة الغزاة قائلاً هلموا إليّ وناصروني".

تزوير التاريخ:

وتشوه التوراة صورة النبي دواد(ع) وتزعم أنه ارتكب مجازر دموية ١٠٠٤- ٩٦٣ق.م في جنوب أرض كنعان "فلسطين" مما أدى إلى لجوء "حدد" وهو من القادة الفلسطينيين إلى مصر من أجل طلب العون من فرعونها"ساآمون" وأن هذا الفرعون استجاب لدعوته، وزوجه من أخت زوجته وأعاده إلى إمارته، وأصبح "حدد" بعد وفاة داود(ع) ٩٦٣ق.م من ألد أعداء ابنه سليمان(ع) كما تزعم التوراة بأن داود أوكل قيادة ثلث جيشه إلى فلسطيني دعي "عيطاي جت" وان ابنه أبشالوم تمرد عليه وقتل شقيقه "أمنون" لاعتدائه على أخته "تامارا"!

وانه هرب من وجه أبيه وحاول اغتصاب الملك منه، وكان الأمير العموني "شوبي" يزود داود بالمؤن بعد فرض ابنه الحصار عليه.

وكان الكيان القبلي الهزيل الذي تولى داود الحكم فيه يشتمل على قبائل ذات أديان وأصول متعددة، وكانت جدته "راعوث"

مؤابية. وعندما كان يتعرض للخطر يعهد بذويه إلى رعاية ملك مؤاب وأنه رزق من امرأة حثية تدعى "تي شبع" بابنه سليمان بعد أن أرسل زوجها أوريا" الحثي" على رأس حملة إلى مدينة غزة حتى يقتل على أبوابها كبقية من غزاها من الغزاة، وتولى ابنه سليمان الحكم من بعده الذي لجأ إلى مصر لمعاونته على الفلسطينيين، واستجاب الفرعون" ساآمون" لطلب سليمان، وبعث جيشاً لنصرته، تمكن من الاستيلاء على مدينة "جازر" الفلسطينية الحصينة وجعلها بائنه "دوطة" (مهرا) لابنته التي زوجها من سليمان. وقد أضفت التوراة التي هي مصدرنا الوحيد على هذه الفترة هالة من الأساطير على سليمان، وفي نفس الوقت لم تتورع - وهو النبي المرسل - من اتهامه "بنقض" العهد مع الإله يهوه، وإهمال وصاياه وتزعم أنه "ذهب وراء عبادة الأصنام.. وأنه شيد معابد لآلهة خليلاته الأدوميات والمؤابيات والصيدونيات.. فغضب الرب عليه .. وقال لسليمان من أجل ذلك ..ولأنك لم تحفظ عهدي وفرائضي ..فإني أمزق مملكتك.."

وبعد أن حكم سليمان (٩٦٣ ـ ٩٢٦ ق.م)، تمزقت مملكته واندثر هيكله الخشبي الذي بناه "حيرام" ملك فينيقيا إلى كيانين هزيلين متصارعين فيما بينهما ومع من حولهما، وقام فرعون مصر شيشنق ٩٢٣ق.م في فترة حكم ابنه "رحبعام" بالاغارة على المدينة المقدسة:" وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك.. كما أخذ جميع أتراس الذهب التي عملها سليمان"، كما نهب الهيكل الخشبي

الذي بناه له معماريون فينيقيون من أخشاب لبنان. وتمزق هذا الكيان العدواني الذي لم يطل بقاؤه في أرض كنعان إلى كيانين متصارعين أحدهما في السامرة قضى عليه سرجون الثاني الأشوري ٧٢١ق.م، والثاني في أوروسالم قضى عليه نبوخذ نصر البابلي ٥٨٦ق.م، الذي سبى سكان أوروسالم إلى بابل، وسمح كورش الفارسي بعد استيلائه على بابل لمن يرغب منهم بالعودة إلى أوروسالم ٥٣٨ ق.م، وعادت منهم أقلية تحت حماية الفرس، ومنعهم "جشم" الأمير العربي من بناء هيكل لهم في اوروسالم، وبعد تدخل الحاكم الفارسي بنوا هيكلاً هزيلاً اعتبروه هيكلهم الثاني، وبقيت المدينة المقدسة لسكانها الأصلاء تحت الحكم الفارسي حتى استيلاء الاسكندر المقدوني عليها مع بقية مدن سوريا وفلسطين ٣٣٢ق.م، وبعد وفاته انقسمت امبراطوريته الكبرى بين قادة جيوشه، وتداول البطالسة في مصر والسلوقيون في سوريا وفلسطين الحكم في المدينة المقدسة إلى أن انفرد بحكمها السلوقيون ١٩٨ ق.م.

وفي عهد الملك السلوقي انطيوخوس الرابع الذي تنكر للوئام العربي الهلليني، نشبت الثورات في مختلف التجمعات السكانية العربية في فلسطين، وظهر داعية السلام" الصديق سمعان"، ولاشك أنه كان صديقاً كما يقول الدكتور على محمود أبو عمرو في مذكرته التاريخية الهامة عن هذه المرحلة - ويضيف إلى ذلك قائلاً: وقاد هذه الثورة العربية ضد الهللينية آل الحشموني من العرب ١٦٧- ٣٧ق.م، والتي تدرس فترة حكمهم حتى في المدارس العربية - على أنها ثورة

"المكابيين اليهود" وكتب الأحبار عن هذه الأسرة سفراً من أسفار توراتهم، وأضفوا على هذه الأسرة هالة مزيفة كلها أكاذيب.

وقام القائد الروماني "بومبي" بالاستيلاء على فلسطين ٦٣ق.م في فترة حكم الأسرة الحشمونية، وما زالت الصهيونية تستغل اسم هذه الأسرة، وينسب إليها ما في دعوتها من أضاليل وأكاذيب وأوهام ليخلقوا لهم تاريخاً من العدم.

النفق:

وقد نسبوا إليها مؤخراً النفق الذي حفره " اليبوسيون" من أجل إيصال الماء إلى يبوس من عين روجل" عين أم الدرج" والذي اكتشفه اللفتنانت "الملازم " وارن warren أحد الضباط الانجليز الذين قدموا إلى فلسطين في العهد الفكتوري في نهاية القرن التاسع عشر، وكان ماسونياً من دعاة الحركة الصهيونية الذين مهدوا للهيمنة البريطانية على فلسطين، بالتعاون مع القائد البريطاني" غوردون" والقائد الشهير كتشنر الذي أصبح حاكماً عسكرياً لمصر.

ويذكر المؤرخ الإنجليزي بولتون BAULTON في تاريخه عن فلسطين "بأن جنود داود وقائدهم يوآب، عبروا النفق الذي حفره اليبوسيون، ليتمكنوا من إيصال الماء إلى أوروسالم من عين روجل.وعبر هذا النفق يوآب وجنوده، وتمكنوا عن طريقه من الوصول إلى قلب المدينة التي سقطت في أيديهم". ويذكر عارف العارف في المفصل في تاريخ القدس بأن في القدس وما حولها عدداً

من الأنفاق والمغارات، ومن بينها مغارة تحت السور وعلى مقربة من باب العمود والى الشرق منه، وهي المغارة التي ذكرها مجير الدين الحنبلي في كتابه "الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل" ودعاها بمغارة الكتان.

كما دعاها الفرنجة في العهد الصليبي باسم COTTON GROTTO وهي مغارة طبيعية تحت الأرض، كانت فيما مضى عبارة عن محجر يقطع منه سكان بيت المقدس الحجارة لبناء منازلهم، ولا علاقة لهذه المغارات بالحشمونيين الذين ادعى اليهود نسبتها إليهم، شأن بقية الأكاذيب والادعاءات الصهيونية الباطلة لكيان عدواني يحاول جاهداً أن يثبت بأنه كان للمتهودين في فلسطين آثار تاريخية ولكنهم لم يعثروا حتى اليوم على أثر واحد يستحق الذكر!

وزالت الأسرة الحشمونية من الوجود بعد استيلاء الرومان على فلسطين بقيادة بومبي (٦٣ ق.م).

وانقسمت الأقلية اليهودية الدخيلة إلى طوائف متصارعة: "الفريسون والصدوقيون والحديون والآسينيون والجليليون والسامريون". واستشرى بينهم الفساد والانحلال والضلال. وبالرغم من تجاهل الرومان لوجودهم الهزيل وإهمالهم لشأنهم الذي لا يستحق الذكر، إلا أنهم بحكم تكوينهم العدواني، تمردوا على الحاكم الروماني.

وقام يوليوس قيصر بتولية "انتيباتر الأدومي" العربي العسقلاني والياً على فلسطين ٤٨ق.م وكلفه بالقضاء على تمرد الأقلية اليهودية

العاصية. وقام "أنتيباتر الأدومي" بالفتك بهم، وظل يطارد فلولهم المندحرة إلى أن قتل وتولى من بعده ابنه هيرودس ٣٧ق.م، الذي نشر الأمن والسلام في ربوع فلسطين وعمر مدنها وترك آثاراً شامخة ما زالت قائمة حتى اليوم، مما أضفى عليه هالة من المجد والرفعة، واستحق عن جدارة لقب "الكبير وملك فلسطين". وكان موضع ثقة الامبراطور أغسطس لتوطيده دعائم الحكم الروماني، ولما قدمه من هدايا للبلاط الامبراطوري وحاول ضمان ولاء الأقلية اليهودية وكبح جماحها بترميم معبدها المدمر، ولكنه باء بالفشل، فعندما أمر بوضع النسر فوق قبة المعبد تمردوا عليه، وانتزعوا النسر الروماني وامتهنوه، مما دفعه إلى اضطهادهم والفتك بهم" وتروي الاناجيل بأن " هيرودس الكبير قام بقتل جميع الصبيان في بيت لحم وتخومها من ابن سنتين فما دون. لأنه سمع ما كان يروجه الكهنة من أن طفلاً من بيت لحم سيكون المسيح المنتظر الذي كانت الأقلية اليهودية تتطلع إلى ظهوره ليكون المخلص لهم.

وكان الانقسام والفساد قد استشرى بينهم وتحول معبدهم إلى بؤرة للفسق والفجور كما ورد في سفر المكابيين "الفصل السادس" : " واشتد انفجار الشر، وعظم على الجماهير. وامتلأ المعبد عهراً وفسوقاً!!

.. وكان المذبح مغطى بالمحارم التي نهت عنها الشريعة، ولم يكن لأحد أن يعيد النسبت ولا يحفظ أعياد الآباء، ولا يعترف بأنه يهودي أصلاً" ! وتوفي هيرودس الكبير ٤ ق.م، وكان قد أوصى قبل

وفاته بتقسيم مملكته بين أولاده الثلاثة، "أرخلاوس" و"انتيباس" و"فلبس" وقام الامبراطور الروماني "أغسطس" باقرار الوصية وتولية أبناء هيرودس الكبير على أقاليم فلسطين وما حولهما. وخلف "أرخلاوس" أباه على القدس والخليل ونابلس وادوم، واتخذ من أريحا مقراً لحكمه.. وبالرغم من أنه نشر العمران في ولايته، إلا أنه تجاوز الحد في ظلمه وجوره وقام الرومان بعزله" ٦ م" بعد حكم دام عشر سنوات ونفاه أغسطس إلى فرنسا وتولى أخوه "فلبس" على الجولان واللجاة من ٤ ق.م - ٣٤م. بينما تولى "انتيباس" على شمال فلسطين وشرقها. واتخذ من طبريا عاصمة لولايته، وبالرغم من عنايته بالعمران كوالده، إلا أنه كان فاسقاً ماجناً، وارتكب جرائم أخلاقية كان من بينها زواجه "بهيروديا" ابنة أخيه أوسطوبولس، الجميلة الفاسقة" ، وعندما انتقد يحيى عليه السلام هذه المفاسد ودعا إلى الايمان والعودة عن الضلال، قام انتيباس بسجنه، وقطع رأسه بتحريض من "سالومي" ابنة "هيردويا" الماجنة. وكان يحيى بن زكريا عليهما السلام قد ولد قبل ولادة السيد المسيح (ع)، بستة أشهر. وبشر الله تعالى زكريا بولادته : ﴿ **فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب، إن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين، قال رب أنّى يكون لي غلام، وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر، قال كذلك الله يفعل ما يشاء**﴾. سورة آل عمران ٣٩ - ٤٠.

ونشأ يحيى عليه السلام طاهراً وحصوراً وترعرع في أورشليم "بيت المقدس" مدينة الأنبياء والمرسلين، ووالده زكريا (ع) هو الذي

مكتبة
د. عصام ناجي البيطار

ظهور المسيح

تولى رعاية "مريم" والدة السيد المسيح التي كانت من أقرباء زوجته "اليصابات ". وكان والدها عمران قد توفي، وابنته "مريم" طفلة صغيرة بحاجة إلى من يكلفها ويرعاها، وقام يحيى الذي يدعوه "العهد الجديد" بيوحنا المعمدان، بتعميد المؤمنين بدعوته في نهر الأردن بغسلهم لتطهيرهم وكان من بين من عمدهم" السيد المسيح"، ومهد لظهوره وبشر به. وتحققت البشارة وأشرق على مدينة السلام فجر جديد.

ولد عيسى بن مريم (ع) في بيت لحم الشامخة وترعرع في مدينة الناصرة المباركة ودعا إلى الايمان والمحبة والسلام في أوروسالم يبوس، المدينة المقدسة.

دعا إلى ديانة الصدق، وليس إلى أضاليل الفرّيسيين، وأصبحت "أوروسالم" منذ ظهوره مهد المسيحية ومهوى أفئدة المؤمنين بالمحبة والسلام والقيم الانسانية النبيلة.

واستجاب إلى دعوته عدد كبير من الطائفة اليهودية من الأسينيين والصدوقيين. ولكن الكهنة من الفريسيين (الحسّيديم)، الذين تحجرت عقولهم وعاشوا قروناً في دوامة التضليل وابتزاز الفقراء والمساكين، ونهب القرابين، تصدوا للدعوة إلى الايمان، وتصدى لهم السيد المسيح أمام الجموع في أوروسالم قائلاً:

" ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون، لأنكم تغلقون ملكوت السموات أمام الناس، فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون" (متى ١١/٢٣)، " أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم (متى ٦/١٥ ومرقص ١٣/٧)، ولكنهم أصروا على ضلالهم وعنادهم الذي طالما أودى بهم إلى الهلاك!

وقال مخاطباً المدينة المقدسة: " يا أورشليم ! يا أورشليم ! يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين! كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها و لم تريدوا، هو ذا بيتكم (معبدكم) يترك خراباً (لوقا ٣٤/١٣). وقد أطلق جمهور المؤمنين على السيد المسيح (ع) لقب "ياسين" أي المواسي. كما أطلقوا على

المؤمنين برسالته "آل ياسين". وكان يرد على من يدعوه بياسين قائلاً: "إن ياسين سيأتي من بعدي ". كما قال : "ومتى جاء الباراقليط فهو يشهد لي (يوحنا ١٥/٢٦)، " ومتى جاء روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع به يتكلم " (يوحنا ١٦/١٣).

لقد مهد إبراهيم الخليل (ع) العربي المسلم لرسالة الإسلام وتابع الأنبياء والمرسلون من بعده الدعوة إلى التوحيد، وكل ما نسب إليهم في التوراة المحرفة زيف وبطلان، فلقد كان جميع الأنبياء والمرسلين كما وصفهم القرآن الكريم من المسلمين.

"وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، هأنذا أباركه وأثمره وأكثّره كثيراً جداً بمادماد (محمد)" (تكوين ١٧/٢٠).

" فسمع الله صوت الغلام (إسماعيل) ونادى ملاك الله هاجر من السماء، لا تخافي، لأن الله قد سمع لصوت الغلام، قومي واحمليه، وشدي يدك به، لأني سأجعله أمة عظيمة (تكوين ٢١/١٨).

وقول المسيح (ع): " الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية. لذا أقول لكم: إن ملكوت الله ينزع منكم، ويعطى لأمة تعمل أثماره. ومن سقط على هذا الحجر يترضض. ومن سقط عليه يسحقه" (متى ٢١/٤٢).

كما قال للسامرية:" صدقيني أنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل "جرزيم" ولا في أورشليم يسجدون لله" (يوحنا ٤/٢١).

إنها البشارة باشعاع النور من مكة المكرمة على يد النبي العربي محمد بن عبد الله "ص"والتقائها ببيت المقدس أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، لقاءً أبدياً لا تنفصم عراه أبداً.

ومما يؤكد هذه البشارة قوله تعالى: ﴿ وإذ قال عيسى بن مريم، يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾ الصف ٦.

تطهير مدينة السلام من اليهود:

وكان الوالي الروماني في بيت المقدس في الفترة التي دعا فيها السيد المسيح برسالته، هو "بيلاطس النبطي" (٢٦ـ ٣٦م) في عهد الامبراطور الروماني طيباديوس كلوديوس (١٤- ٢٤م).

وقام الفريسيون وكبار الأحبار، من الذين ترسخ الكفر في نفوسهم، وتحجرت عقولهم بتحريض الوالي الروماني على صلب المسيح، لأنه كان يدعو إلى الخلاص منهم، وتطهير بيت المقدس من رجسهم وفجورهم قائلاً: " إن الخلاص هو من اليهود" (انجيل متى ٤/٢٢).

" وكانت هياكلهم ومعابدهم مسارح للفسق والفجور. وإن جميع رؤساء الكهنة والشعب أكثروا الخيانة.. ونجّسوا بيت الرب.. وكانوا يهزأون برسله.. وتهاونوا بأنبيائه" (أخبار الأيام الثاني/ ٣٦/١٤-١٧). وبالرغم من كل المحاولات التي قام بها رؤساء الكهنة لدى الوالي الروماني"بيلاطس النبطي" وتحريضهم على "صلب

المسيح" إلا أنهم فشلوا في مسعاهم. ولما أصروا على طلبهم، صرخ فيهم قائلاً: " إنني بريء من دم هذا الصديق".

وساقوه قسراً " إلى الجلجلة عبر " درب الآلام" وحاولوا صلبه، ولكن الله تعالى، أصعده إلى السماء، بعد أن أدى الرسالة ومهد لخاتم الأنبياء: ﴿وما قتلوه وما صلبوه، ولكن شبه لهم﴾ النساء ١٥٧.

وقد أكد القرآن الكريم أن أكثر الناس مودة للمسلمين النصارى وأشد الناس عداوة هم اليهود، وهذا دليل الترابط القوى والوثيق بين النصارى والمسلمين على أرض فلسطين ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا، ولتجدن أقربهم مودة الذين آمنوا، الذين قالوا إنا نصارى، ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون﴾ المائدة ٨٢.

لقد حذر السيد المسيح اليهود"لضلالهم وفسقهم وسعيهم في الأرض فساداً. وأنذرهم بأن بيوتهم ستكون خراباً! قائلاً :" إن الخلاص هو من اليهود" (إنجيل متى ٢٢/٤) وقوله : " هو ذا بيتكم (معبدكم) يترك خرابًا" !!

وتحققت النبوءة وتطهرت "مدينة السلام" من رجس اليهود الذين تمردوا على الحكم الروماني. وقام القائد الروماني "تيتوس" بتدمير الحي اليهودي في بيت المقدس، وتركه قاعًا صفصفًا بمساندة قوات عربية بقيادة " مالك الثاني" ملك الأنباط في عام ٧٠م.

كوارث من صنع أيديهم:

ويذكر المؤرخ اليهودي " يوسيفوس " الذي عاصر إبادة معظم الأقلية اليهودية المتمردة في بيت المقدس عن الكارثة التي حاقت بهم ما يلي:" لا توجد طائفة في الأرض في كل أجيال التاريخ منذ بدء الخليقة إلى الآن، تحملت ما تحمل اليهود من الكوارث والويلات! على أن تلك الكوارث والويلات هي من صنعهم، ولم تكن يوماً ما من صنع غيرهم"!!

وبالرغم مما حاق بهم من دمار وإبادة، فقد تمردوا ثانية على الإمبراطور الروماني تراجان في شتى أرجاء مستوطناتهم في بلاد المشرق " في مصر وبرقة وقبرص وفلسطين" وكان النذير النهائي بإفنائهم وتشريدهم، فقد أبادت قوات الإمبراطور "تراجان" أعداداً كبيرة منهم، واستكانت البقية الباقية منهم (١١٧م).

وبالرغم من تظاهرهم بالاستكانة والخضوع، فقد عادوا إلى التمرد من جديد، وكانت آخر حماقاتهم في العهد الروماني، فقد تزعم داعية أفاق (يدعى " سمعان) من بقي حيًا منهم، وكان لصًا قاتلاً سفاكاً، وادعى أنه المسيح المنتظر، وأطلق على نفسه اسم " بركوخبا" أي ابن الكوكب" . وقاد "قطعان المستوطنين " البرابرة إلى حتفهم بعد ارتكابهم مجازر وحشية". وبعد دفعهم إلى الهاوية والإبادة الكاملة دعته البقية الباقية منهم باسم بار كذيباً (ابن الكذاب).

وقام الامبراطور الروماني "هادريان" بمحاصرتهم والفتك بهم، وباع من بقي حياً منهم في أسواق الرقيق، وأطلق على "أوروسالم" اسم إيليا كابتولينا Aelia Capitolina وحرّم على اليهود دخولها. وسمح للمسيحيين أن يقيموا فيها على ألا يكونوا من أصل يهودي، وبنى على أنقاض (معبدهم) الذي كان بؤرة للفسق والفجور معبداً للمشتري "جوبتر" وانتهى بذلك الوجود اليهودي الدخيل في بيت المقدس بعد تاريخ حافل بالتطاول والعدوان والانحرافات الدينية والأخلاقية، وتشردت البقية الباقية من "أدعياء يهود" ولم يعد لهم في بيت المقدس وجود (١٣٥م)، ﴿ **ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا، إلا بحبل من الله وحبل من الناس. وباءوا بغضب من الله. وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون**﴾

آل عمران ١١٢.

العهد الروماني:

وعم السلام " مدينة السلام" طيلة العهد الروماني، وأصبحت من المراكز العلمية الكبرى، وأنجبت عدداً كبيراً من العلماء، وانتشرت فيها المدارس والمكتبات والمؤسسات الدينية بعد أن اعتنق معظم أهلها الديانة المسيحية. كما تمتعت بالازدهار الاقتصادي في ظل " السلم الروماني" لموقعها المتميز ومكانتها الدينية، وعناية الأباطرة الرومان بها، ونشر العمران فيها، وبصفة خاصة منذ أن أصدر الامبراطور الروماني قسطنطين الأول "مرسوم ميلانو"

(٣١٣م)، والذي أصبحت بموجبه المسيحية الديانة الرسمية للامبراطورية الرومانية، وقامت الملكة " هيلانة " أم الامبراطور قسطنطين بزيارة "ايلياء" بيت المقدس ـ بعد اعتناقها المسيحية، وأمرت كذلك ببناء كنيسة المهد في بيت لحم. كما أمرت بهدم معبد المشتري "جوبتر" الذي بناه "هادريان"، وأمرت ببناء كنيسة القيامة مكانه (٣٢٦م)، والتي زاد الامبراطور قسطنطين في توسعتها وزخرفتها (٣٣٥م)، كما ازداد العمران في "ايلياء" في العهد البيزنطي (٣٩٠- ٦٣٨م).

وأمر الامبراطور "جستنيان" الأول ببناء مستشفى في ايلياء (٥٤٣م)، كما أمر بتوسعة كنيسة العذراء التي بناها البطريرك العربي النجدي "ايليا" وأطلق عليها اسم " كنيسة العذراء الجديدة (٥٤٣م).

العهد البيزنطي :

وظلت "ايلياء" تنعم بالأمن والسلام والازدهار حتى أواخر العهد البيزنطي. وفي عهد الامبراطور جستنيان الثاني ولد الرسول الأعظم محمد بن عبد الله(ص) في الرابع والعشرين من أبريل /نيسان (٥٧١م)، وبعث نبياً للانسانية جمعاء في عام (٦١١م)، في بداية عهد الامبراطور البيزنطي هرقل (٦١٠_ ٦٤١م). وكانت الامبراطورية البيزنطية آنذاك مشتبكة في حرب ضاحنة مع الفرس منذ اعتلاء الامبراطور فوكاس العرش (٦٠٢م)، وكانت تتعرض لهزائم مروعه طيلة عهد فوكاس (٦٠٢_ ٦١٠م). واندفعت القوات

الفارسية بقيادة "شهربراز" من آسيا الصغرى إلى سوريا واستولت على دمشق (٦١٣م)، وفي العام التالي استولت القوات الفارسية على "ايلياء" "بيت المقدس" وأوقعت بسكانها مذبحة مروعة بتحريض من اليهود الذين انضموا للقوات الفارسية الغازية بقيادة بنيامين تيرياد، وقاموا بالانتقام من المسيحيين وبهدم كنيسة القيامة، كما هدموا معظم الكنائس والأديرة.

البشارة:

وتعاطف المسلمون في الجزيرة العربية مع الروم البيزنطيين لكونهم "أهل كتاب" يواجهون حلفاً مجوسياً يهودياً، ونزلت الآية الكريمة التالية تبشر بانتصارهم على الحلف المجوسي اليهودي الآثم: ﴿ ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين. لله الأمر من قبل ومن بعد. ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله. ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾ (الروم ١- ٥).

وتحققت البشارة، وغُلب الفرس، وانتصر الروم في معركة نينوى الحاسمة (٦٢٧م)، ودخل هرقل مدينة القدس منتصراً في ٦٢٨/٩/١٤م.

وبينما كان الامبراطور البيزنطي في حمص في طريقه إلى "ايلياء" قدم عليه رسول النبي "دحية بن خليفة الكلبي" يدعوه إلى الدخول في الإسلام. وكانت الرسالة التي حملها وعليها خاتم النبي (ص) تتضمن ما يلي:" بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى. أما بعد. فإني أدعوك إلى

الإسلام. أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين. فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين : ﴿ **يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله . ولا نشرك به شيئا، ولا يتخذ بعضنا بعضا أرباباً من دون الله. فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**﴾.

لم يعبأ هرقل بالدعوة وبالداعي إلى دين الإسلام، وردَّ على الرسول رداً حسناً، ولم يدر أنه بعد عشر سنوات فقط من تاريخ هذه الرسالة سترتفع رايات الإسلام خفاقة على بلاد الشام. وأن " صفرونيوس" بطريرك بيت المقدس سيسلم المدينة الخالدة سلماً إلى الخليفة العظيم عمر بن الخطاب. وكانت المدينة المقدسة قبلة المسلمين في صلاتهم، إليها أسري بالرسول الأعظم محمد ابن عبد الله ﷺ ومنها عَرج به إلى السماء (٦٢١م).

﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾. الاسراء ١.

وظلت المدينة المقدسة قبلة المسلمين في صلاتهم حتى يوم السبت ٢٨ يناير ٦٢٤م، وفي هذا التاريخ أوحى الله تعالى للرسول (ص) أن يحول قبلته إلى المسجد الحرام: ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء. فلنولينك قبلة ترضاها، فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ البقرة ١٤٤.

وازداد الرباط المقدس رسوخاً بين الكعبة المشرفة ومكة المكرمة والمسجد الأقصى المبارك في القدس الشريف وسيظل هذا الرباط خالداً إلى الأبد.

وما زال مسجد القبلتين في ظاهر المدينة المنورة يضم قبلتين: الأولى منهما متجهة إلى الشمال نحو بيت المقدس والثانية إلى الجنوب وتتجه نحو الكعبة في مكة المكرمة.

العهدة العمرية:

وقامت الجيوش العربية الإسلامية المظفرة باستكمال فتح بلاد الشام في عهد الخليفة العظيم عمر بن الخطاب وكان تسليم بيت المقدس " ايلياء " وتوقيع العهدة العمرية بين الخليفة الفاروق عمر والبطريرك صفرونيوس في عام (٦٣٨م). وكان نص كتاب الصلح بين أمير المؤمنين وأهل ايلياء" بيت المقدس" هو ما يلي: " هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان . أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم. سقيمها وبريئها، وسائر ملتها. أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيّزها. ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم. ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم. ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود..." وكان ما ارتكبه اليهود من قتل وتدمير في بيت المقدس خلال الحروب الفارسية البيزنطية بقيادة "بنيامين تيرياد" ما زال ماثلاً في أذهان العرب من نصارى الشام.

قلعة الإسلام ومدينة السلام

إن الموقف الإنساني والنبيل للجيوش العربية التي قدمت إلى بلاد الشام لتحريرها تحت راية الإسلام المؤزرة التي تتمثل في أروع صورة في "العهدة العمرية" بالمقارنة مع ما ارتكبه " اليهود مع حلفائهم الفرس المجوس من تخريب وسفك للدماء يعيد إلى الأذهان صدى ماضيهم الدموي المأساوي، وحاضرهم العدواني، ويؤكد بالدليل القاطع بأنهم لم يتعلموا من مآسي تاريخهم الأسود، وأنهم ما زالوا في ضلالهم يعمهون.

وأصبحت مدينة السلام قلعة الإسلام الشامخة ومهوى أفئدة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. إليها تشد الرحال، ويضحّي من أجل عزتها وعروبتها وإسلامها الأبطال جيلاً بعد جيل.. مواكب الشهداء يتبع بعضها بعضاً على أرض الرباط والفداء إلى أبد الدهر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. إنها مدينة السلام، وزهرة المدائن أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، إليها أسري بنبينا، ومنها عرج به إلى السماء، وبايعه جميع الأنبياء. الأرض المقدسة التي باركها الله. أرض المحشر والمنشر تتمثل فيها عزة الإسلام، على أرضها الطاهرة عبر المسيح طريق الآلام، وأصعده الله إلى السماء بعد أن بشر بنبي من بعده اسمه أحمد.

أحاديث في بيت المقدس:

وقد روى المحدثون في بيت المقدس" أرض الرباط والجهاد" أحاديث تدل على مكانتها وقداستها وما تمثله بالنسبة للإسلام من رفعة ومكانة شامخة، ودور أهلها ومن حولها وكل مسلم في العالم في الحفاظ عليها.

فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي أمامة الباهلي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

" لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله عز وجل وهم كذلك"، قالوا: يا رسول الله وأين هم؟

قال: " ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس".

وعن عطاء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تقوم الساعة حتى يسوق الله عز وجل خير عباده إلى بيت المقدس والى الأرض المقدسة فيسكنهم إياها".

وعن أبي هريرة عن النبي (ص) قال: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى".

وعن معاذ قال: قال رسول الله (ص) :"يا معاذ إن الله عز وجل سيفتح عليكم الشام من بعدي. من العريش إلى الفرات: رجالهم ونساؤهم وإماؤهم مرابطون إلى يوم القيامة. فمن اختار منكم ساحلاً من سواحل الشام أو بيت المقدس فهو في جهاد إلى يوم القيامة". وبالإسلام خيم السلام على المدينة المقدسة، ودخل سكانها في دين الله أفواجاً. وتعانق الهلال والصليب على أرض السلام تحت راية الإسلام الخفاقة وأشرق على فلسطين أرض البطولة والفداء فجر جديد. ارتفعت رايات الاسلام خفاقة على "بيت المقدس" أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، بعد العهدة العمرية

التي رسّخت جذور السلام في بيت المقدس " قبعة الإسلام ومهوى أفئدة المؤمنين.

عقد الخليفة عمر بن الخطاب عهداً مع البطريرك العربي صفرونيوس، "عرف بالعهدة العمرية" تسلم بموجبه "إيلياء" المدينة المقدسة، سلماً عام ٦٣٨م، ولم تسفك على أرضها المباركة قطرة دم واحدة. وكان من البنود الرئيسية في العهدة العمرية " أن لايسكن بإيلياء مع النصارى أحد من اليهود" لما ارتكبوه من مجازر دموية وتدمير للمقدسات المسيحية بقيادة " بنيامين تيرياد " خلال الحرب الفارسية، البيزنطية (٦٠٢ ـ ٦٢٨). وكانت الطائفة اليهودية الدخيلة قد اندثرت وزال وجودها نهائياً من بيت المقدس في عام "١٣٥م" على يد الامبراطور الروماني هادريان. وظلت المدينة المقدسة خمسمائة عام نقية، خالية من أي وجود يهودي. ولم يكن بها يهودي واحد عندما دخلها جند الإسلام بسلام. وحاولت الطوائف اليهودية المنتشرة في الدولة العربية الإسلامية المترامية الأطراف، التي رحبت ترحيباً حاراً بالفتح الإسلامي لبيت المقدس، الإقامة في المدينة المقدسة إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل في عهد الخلفاء الراشدين الذين تقيدوا بالعهدة العمرية. وازدهرت قبعة العروبة والإسلام ودخل سكانها – ورثة كافة الطوائف و الأديان التي عرفتها أرض كنعان – في دين الله أفواجاً . وكان أول مسجد بني فيها بعد الفتح الاسلامي المزار . المسجد الذي أمر بانشائه الخليفة عمر بن الخطاب (مسجد عمر).

العهد الأموي:

وأصبحت " بيت المقدس" في العهد الأموي (٦٦١ـــ٧٥٠) "عاصمة العواصم".

وتأكيداً لقدسيتها ومكانتها الرفيعة، أخذ الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان البيعة من أهل الشام في بيت المقدس، وولى عليها " سلام بن قيصر" أحد كبار خاصته، وأولاها خلفاء بني أمية عنايتهم ورعايتهم الفائقة، ونشروا العمران فيها. وكان أعظم مآثرهم وأروعها، مسجد القبة، فوق الصخرة التي عرج منها بالرسول الأعظم محمد بن عبد الله (ص) إلى السماء، وقبة السلسلة شرقي قبة الصخرة، وقبة المعراج، وقد استغرق بناء هذه الصروح الشامخة ستة أعوام (٦٨٥ـ ٦٩١). وقد أشرف على إنجاز هذه المباني الخالدة "رجاء بن حيوة الكندي". و"يزيد بن سلام المقدسي". كما أمر الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ببناء المسجد الأقصى إلى الجنوب من قبة الصخرة، وكان ذلك في عام ٦٩٣م. وقد تم بناؤه في عهد ابنه الوليد عام ٧٠٥م. وسيظل هذا الأثر الخالد رمزاً لرسوخ عقيدتنا وعظمة أمتنا وعراقة تاريخنا.

ويقول هيرلويس أحد خبراء الفن المعماري عن مسجد الصخرة: "بأنه من أجمل المباني على سطح الأرض ومن أروع الآثار التي خلدها التاريخ" كما يعتبره المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون " أعظم المباني التي بناها الإنسان". وقد سمح الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان لعشرين يهودياً تستلوا إلى بيت المقدس مخالفين بذلك

العهدة العمرية، بالإقامة المؤقتة في المدينة المقدسة شريطة أن يقوموا بكنس ساحات المسجد الأقصى، وتنظيف المطاهر التي حوله، ولكن الخليفة عمر بن عبد العزيز توجّس منهم، وحرّم عليهم الخدمة في الحرم، ومنعهم من الاقتراب منه، وظل هذا التحريم ساري المفعول في العهود الإسلامية اللاحقة. وبويع الخليفة سليمان بن عبد الملك في بيت المقدس ٧١٥م في قبة السلسلة شرقي المسجد الأقصى، وأولى المدينة المقدسة عنايته ورعايته الفائقة، وحشد فيها الرجال، وجمّع الأموال، واتخذها عاصمة له إلى أن اكتمل عمران مدينة الرملة مفتاح بيت المقدس.

والتحقت أعداد كبيرة من أبطال " بيت المقدس" بجند فلسطين، تلك الفرقة الباسلة التي أسهمت بدور كبير في الفتوحات العربية الإسلامية في العهد الأموي التي وصلت حتى الصين شرقاً والمحيط الأطلسي غرباً، وبذروا بذور حضارتهم العريقة حيثما حلوا. وتمتعت الأقليات اليهودية في الدولة العربية الإسلامية بالحرية الدينية، وعوملوا معاملة إنسانية رفيعة. ويعبر عن ذلك أصدق تعبير" سهل بن مصلح " أحد اليهود القرائين قائلاً: " في أيام حكم الاسماعيليين العرب فتح الله لشعبه أبواب رحمته".

وبالرغم من القيود التي وضعها ولاة بيت المقدس في العهد الأموي على إقامة اليهود تطبيقاً للعهدة العمرية، إلا أن أقلية منهم تسنت إليها في نهاية العهد الأموي. ويقول اليهودي القراء " دانيال القويسي في هذا الصدد : " لم يستطع اليهود قبل حكم الاسماعيليين

يهود الخزر

العرب القدوم إلى القدس". وكانت بلاد الأندلس فردوساً وعهداً ذهبياً للمتهودين من الأيبريين والبربر الذين عرفوا بالسفرديم طيلة العهود الإسلامية في الأندلس، كما كانت الملجأ الأمين للمضطهدين منهم في أوروبا المسيحية من الإشكناز (يهود الخزر).

وفي نهاية العهد الأموي (٧٤٠م) اعتنق ملك الخزر وحاشيته، والطبقة العسكرية الحاكمة الديانة اليهودية وترجع أصول شعب الخزر إلى ثلاثة عروق " مغولية وتركية وقوقازية". واستقر هذا الشعب البربري خلف الحاجز الجبلي للقوقاز بين البحر الأسود وبحر قزوين (الخزر) منذ القرن الخامس للميلاد. وكانوا حلفاء للبيزنطيين في مواجهة الزحف الإسلامي في العهد الأموي. واستمرت الحرب سجالاً بين الطرفين من ٧٢٢- ٧٤٤م. وترسخت الديانة اليهودية في بلاد الخزر في عهد الدولة العباسية.

وتدفق على دولة الخزر اليهودية من القرن السابع حتى العاشر للميلاد أعداد كبيرة من اليهود الفارين من الاضطهاد المسيحي في الدولة البيزنطية، حيث رسخوا العقيدة اليهودية في عقول الخزريين، كما قدمت إليهم جماعات من يهود العراق من طائفة القرائين، وهي أحدث الفرق اليهودية جميعاً أنشأها عنان ابن داود أحد كبار علماء اليهود في بغداد في أواخر القرن الثامن للميلاد، ويقوم مذهبها على التمسك بما جاء في كتب العهد القديم وحدها، وعدم الاعتراف بأحكام التلمود وتعاليم الربانيين. وكانوا من المجددين في الديانة اليهودية، لهذا اختلفوا مع الربانيين المتمسكين بتعاليم التلمود الذين أطلق عليهم الصدوقيون اسم " الفريسيين" أي المعتزلة - "بورشيم" بالعبرية - وقد استقرت في بيت المقدس جماعات من الطائفتين في العهد العباسي، وكان النزاع متواصلاً بينهما وكان عدد الأسر اليهودية التي استقرت في بيت المقدس في العهدين الطولوني

والاخشيدي لا يتجاوز السبعين أسرة، وكانوا في ذمة المسلمين ورعايتهم يتمتعون بكافة الحقوق التي يوفرها الإسلام للذميين، والتي لم تتوفر لليهود في دولة الخزر اليهودية، التي وصلت ذروة قوتها في عهد الملك الخزري يوسف الذي تبادل الرسائل مع زعماء الجاليات اليهودية في أوروبا وآسيا وأفريقية، وكان من بينهم في الأندلس "حسداي بن شبروط" وزير الخليفة الأموي الأندلسي عبد الرحمن الناصر بين عامي ٩٥٤ - ٩٦١م والذي استعد بأن يهجر كل مظاهر التكريم والتخلي عن منصبه الرفيع واعتزال أسرته في سبيل الوصول إلى دولة الخزر اليهودية، وخدمة ملكها اليهودي.. ويختم حسداي بن شبروط رسالته للملك الخزر بالنص التالي الذي يدل دلالة واضحة على العقلية اليهودية والتطلع إلى وطن في أي مكان في العالم: " وما أرجوه منك أن تخبرني عما إذا كان لديك أي علم عن المعجزة المنتظرة بظهور المسيح المرتقب! وعلينا نحن المنبوذين المستذلين في شتاتنا أن نصغي في صمت للذين يقولون لنا: " لكل شعب وطنه الخاص، وأنتم الوحيدون الذين لا تملكون ولا حتى ظلاً لوطن فوق هذه الأرض"!!

وفي عام ٩٧٥م أصبحت بيت المقدس تحت الحكم الفاطمي في وقت كانت فيه دولة الخزر اليهودية تتعرض للاجتياح الروسي، مما أدى إلى هجرة يهودية واسعة من مملكة الخزر إلى كافة أرجاء أوروبا. وقدمت أعداد كبيرة من هؤلاء اليهود الخزريين إلى بلاد المشرق الإسلامي واستقرت أقلية منهم في بيت المقدس، وهم

أسلاف اليهود الإشكناز، وتسامح الفاطميون معهم، وسمحوا لهم بالإقامة في المدينة المقدسة، وكانوا في صراع دائم مع اليهود القرائين. واستنزفت أسرة فلا دمير الروسية دولة الخزر اليهودية في القرن الحادي عشر للميلاد، مما دفعهم إلى مغادرة بلادهم والاستقرار في أحياء مغلقة منعزلة في شتى أنحاء أوروبا عرفت باسم "الجيتو" وبالرغم من جذورهم الخزرية "المغولية التركية" إلا أنهم بحكم عقيدتهم الدينية وانعزالهم وإحساسهم بالاضطهاد، والاعتداء عليهم في شتى المجتمعات المسيحية، في وقت نشبت فيه الحروب الصليبية، أصبحوا كبقية اليهود، الذين أفسدت عقولهم الأساطير التوارتية ، ومن أشد المؤمنين بادعاءات باطلة بحقوق تاريخية وهمية في وطن لا يمتون له بأدنى صلة، يدفعهم إلى ذلك هوس ديني محموم نشاهده اليوم في قطعان المستوطنين التي ورثت كل ما في أسلافهم، "المغول والهون والكابار" من وحشية وعدوانية. وبالرغم من تسلل جماعات منهم إلى بيت المقدس، إلا أنهم ظلوا غرباء عن مجتمعها العربي الإسلامي، بينما اندمج اليهود من الجذور العربية "القراؤون " في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وكانوا لا يختلفون عن أي مواطن عربي مقدسي، في عاداتهم وتقاليدهم وأزيائهم ولغتهم وأسمائهم ودخل كثير منهم في الإسلام وحسن إسلامهم.

الأقلية اليهودية:

ومن بين أسماء الأقلية العربية من اليهود من سجلات محكمة القدس الشرعية:" عربية بنت سعيد، عبد العزيز بن عبد الغفار ابن

عبد الكريم، عزيزة بنت نصر، سعيد بن تمام، عبد الكريم بن موسى، وشاكر بن ابراهيم، بركات بن قمر، حسن بن يعقوب، يعيش بن فرحان، وذلك على سبيل المثال لا الحصر، وفقاً لما ذكره " زكي نسيبة " في كتابه عن اليهود في القدس العربية الإسلامية. وقد وصل بعض هؤلاء اليهود المحليين إلى مناصب رفيعة في بيت المقدس ومارسوا كافة المهن والحرف بما في ذلك التجارة والطب والحدادة والصياغة والصباغة وصنع الزجاج، كما عملوا في الوظائف الرسمية.

كما أن عدداً من اليهود المغاربة الذين هاجروا من العراق إلى المغرب، تمكنوا في ظل التسامح الإسلامي في العهد الفاطمي من الهيمنة على حركة التجارة الدولية بين بلاد المغرب وفلسطين، وكانت لهم وكالات تجارية كبرى في بيت المقدس والفسطاط، يشرف عليها أحد كبار التجار المصريين ويدعى "نهاري بن نسيم" وكان وكيلهم التجاري في بيت المقدس " شلومو بن يهودا" الذي كان يستورد الحبوب من عمّان ويصدر فائض حنطة القدس والخليل.

كما عمل عدد من يهود بيت المقدس في صناعة الغزل ونسخ الكتب وتجليدها وكان من بينهم يوسف بن يعقوب المغربي وشموئيل بن حنفي.

إبادة جماعية:

وفي الوقت الذي كانت تتمتع فيه كافة الجماعات اليهودية في جميع البلاد العربية والإسلامية بكامل حقوقهم كبقية المواطنين من

المسلمين والنصارى الأصلاء، كان يهود الخزر الذين تشردوا في شتى أنحاء أوروبا يتعرضون للاضطهاد والمطاردة والحرمان من أدنى الحقوق الإنسانية.

فبعد إعلان البابا أوربان الثاني الحرب الصليبية في مجمع كليرمون (١٠٩٥م) تعرضت جاليات يهود الخزر المنتشرة في أوروبا القريبة والوسطى إلى الإبادة الجماعية على يد القوات الصليبية، وطلائعها من الرعاع والقتلة الذين ضللتهم الادعاءات الكاذبة، بدعوى استعادة الأراضي المقدسة وتخليص بيت المقدس من أيدي المسلمين لتحقيق أهداف توسعية وتطلعات اقتصادية غير معلنة. وقد اتبعت الحركة الصهيونية نفس الأسلوب في ادعاءاتها الكاذبة لتحقيق تطلعاتها بالاستعمار الاستيطاني في بلاد لا تمت لهم بأدنى صلة. وكانت طلائع الحملة الصليبية الأولى بقيادة " بطرس الناسك" و" وولتر المفلس " التي ضمت إلى صفوفها عشرات الآلاف من حثالات الفرنسيين والألمان، الذين أبادوا عبر طريقهم إلى بلاد الشام أعداداً كبيرة من يهود الخزر الذين استقروا في فرنسا وألمانيا والبلقان وآسيا الصغرى، والتي تعيد إلى الأذهان ما تعرض له هؤلاء الدخلاء على يد القائد الروماني تيتوس (٧٠م)، وفي عهد الإمبراطور الروماني هادريان (١٣٥م) الذي حرّم على اليهود سكنى بيت المقدس، وظل هذا التحريم قائماً إلى عهد عبد الملك بن مروان الذي سمح لأقلية منهم بالإقامة في المدينة المقدسة. ولم ينقطع تواجدهم المحدود في ظل التسامح الإسلامي حتى عام ١٠٩٩م عندما اقتحمت قوات الحملة الصليبية الأولى بقيادة "جودفري دي بويون" بيت المقدس، وأوقعت

بسكانها الأصلاء بجزرة دامية كما وأبادت الأقلية اليهودية، وحرّم الصليبيون على المسلمين واليهود دخول المدينة المقدسة. وعندما زار الرحالة اليهودي الأندلسي بنيامين التطيلي " بيت المقدس في عام ١١٧٠م وجد فيها أربعة من اليهود فقط، حصلوا على حق الإقامة وممارسة مهنة الصباغة بعد دفع ضرائب باهظة للملك الصليبي.وفي عام ١١٨٠م زار المدينة المقدسة قادماً من براغ الحاخام "ياتحيا هلفان" ووجد فيها يهودياً واحداً يدعى " ابراهيم الصباغ".

تحرير القدس:

وبعد سبع سنوات من هذه الزيارة تحررت بيت المقدس من الصليبيين في ٢٧ رجب ٥٨٣هـ/ الثاني من أكتوبر ١١٨٧ بعد معركة حطين الخالدة بثلاثة أشهر، على يد البطل المجاهد صلاح الدين الأيوبي، وتسلم المدينة المقدسة سلماً كما تسلمها الفاروق عمر بن الخطاب قبل ذلك بستة قرون. وعامل الغزاة المعتدين معاملة إنسانية لا يستحقونها، ولكنها عدالة الإسلام وقيمه ومثله، والتقاليد العربية النبيلة التي ينبغي على جميع الناس في كل العصور والأزمان أن يعوها جيداً، وبصفة خاصة من يدّعون بأن القدس التي أسسها أسلافنا العظام، وحرروها من الغزاة عبر العصور، عاصمة أبدية لكيانهم العدواني. وهذ الادعاء الباطل لا يستحق منا سوى الازدراء. ويعرف كل من قرأ بضع صفحات من تاريخ عاصمتنا المقدسة " القدس الشريف" مدى زيف هذا الادعاء وبطلانه.

وقام الصليبيون خلال فترة استيلائهم على بيت المقدس بتغيير معالم المسجد الأقصى أولى القبلتين ومهوى أفئدة المسلمين، واتخذوا

قسماً منه مسكناً لفرسان الهيكل، وأضافوا إليه من الناحية الغربية بناء جعلوه مستودعاً لأسلحتهم، وأضافوا إليه من الناحية الغربية وعلى طول حائط الحرم القبلي صفاً مزدوجاً من القناطر المعقودة، كما اتخذوا من السراديب التي تحت بناء المسجد الأقصى إسطبلاً لخيولهم والتي عرفت في عهود لاحقة لضخامتها وجهل العامة بتاريخها باسم إسطبلات سليمان. وقام الناصر صلاح الدين الأيوبي بترميم المسجد الخالد الذي عاد كما كان شامخاً، يتحدى الغزاة، وسيظل كذلك إلى الأبد. وجلب إليه منبراً كان المجاهد العظيم نور الدين زنكي قد أعده في حلب ٥٦٤هـ / ١١٦٨م، وظل هذا المنبر الرائع قائماً إلى أن قام أحد الغلاة من المتطرفين الصهاينة بإضرام النار في المسجد الأقصى (١٩٦٩م) مما أدى إلى احتراقه.

وما زال الدخلاء يتطاولون على هذا الصرح الأبدي الشامخ، يدفعهم إلى ذلك هوس أحمق وأضاليل وأوهام وأكاذيب ادعوها وصدقوها، وترسخت في عقولهم المتحجرة، وستظل بيت المقدس- مهما تطاول الدخلاء - أرض الرباط والجهاد إلى أبد الدهر وعاصمة شعبنا الفلسطيني الصامد، الذي تسلم هذه الأمانة من أسلافه العظام الذين عمروا وطننا المقدس منذ ستة آلاف سنة. وسيدافعون عن حقهم المقدس في هذه الأرض المباركة حتى يحققوا السلام العادل والشامل والله ناصرهم. وكما قال ابن مطروح الشاعر الأيوبي:

المسجد الأقصى له عادة

سارت فصارت مثلاً سائرا
إذا غـدا للكـفر مسـتوطنا
أن يبعـث الله لـه ناصـرا
وإن عدمنا النصير إلى حين !
فالله ناصرنا وهو نعم المولى ونعم النصير.■

الحروب الصليبية والمؤامرات اليهودية على بيت المقدس

كانت معركة حطين ١١٨٧م نقطة تحول تاريخية، فقد أعقبتها الحملة الصليبية الثالثة التي فشلت في استعادة المدينة المقدسة، وأسفرت بعد مجازر دموية عن صلح الرملة (١١٩٢م) وظلت المدينة الخالدة شامخة تتحدى الغزاة، إلى أن اختلف الأمراء الأيوبيون فيما بينهم .

وقام " الملك المعظم عيسى بتخريبها وتدمير أسوارها ١٢٢٧م حتى لا يستولي عليها أخوه الكامل الذي استنجد بالإمبراطور الجرماني " فردريك هوهنشتاوفن"، الذي قدم من صقلية على رأس قواته.. إلى ميناء عكا . وتنازل له "الكامل" عن بيت المقدس ١٢٢٩، واستعادها الملك الناصر داود بعد معركة نشبت في بيت حانون على مقربة من مدينة غزة ١٢٣٩م.

وعندما عاد الخلاف ثانية بين الأمراء الأيوبيين، تحالف الناصر داود مع الصليبيين ضد الملك الصالح نجم الدين أيوب، وتنازل لهم عن بيت المقدس وطبريا وعسقلان مقابل هذا التحالف المشين. واستعان الملك الصالح نجم الدين أيوب بالخوارزميين في مواجهة الصليبيين وحلفائهم من الأيوبيين المتخاذلين، ونشبت بين الطرفين معركة طاحنة أسفرت عن هزيمة ساحقة للقوات الصليبية في "هربيا" في التاسع عشر من أكتوبر ١٢٤٤م .

وكانت حطين ثانية، أبيدت فيها معظم القوات الصليبية وحلفائها من الخونة واستسلمت البقية، ولم تقم للصليبيين ومملكتهم

اللاتينية العدوانية قائمة بعد هذه المعركة، وزار الملك الصالح نجم الدين أيوب بيت المقدس، وأعاد تعميرها وبناء أسوارها.

وقد أدت هذه الهزيمة إلى الحملة الصليبية السابعة والأخيرة على بلاد الشام ومصر بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا، الذي هُزم وأُسر مع من تبقى من جنوده في معركة المنصورة . وتوفى الملك الصالح نجم الدين أيوب، وتولى من بعده ابنه تورانشاه الذي قتل على يد المماليك البحرية ١٢٥٠م.

وتصدى المماليك البحرية ١٢٥٠ - ١٣٨٢م للصليبيين والمغول، وحققوا انتصارات باهرة، وكان هولاكو التتري يتطلع إلى الاستيلاء على بغداد عاصمة الدولة العباسية بعد اجتياحه خوارزم وفارس، وتمكن هذا البربري من اقتحام بغداد ١٢٥٨ م، وعاث فيها تخريباً. وقام "كتبغا" أحد كبار قادته باجتياح بلاد الشام، وتصدت له قوات مصر بقيادة الملك المظفر " سيف الدين قطز"، وحققت نصراً مؤزراً على حشود المغول البربرية في معركة عين جالوت الخالدة ١٢٦٠م. وبعد اغتيال القائد المظفر أثناء عودته إلى مصر على مقربة من الطور، تولى من بعده "الظاهر بيبرس البندقداري" ١٢٦٠-١٢٧٧م الذي حرر معظم ثغور الشام وحصونها من الصليبيين . وأولى بيت المقدس عنايته الفائقة وترك آثاراً شامخة، ما زالت قائمة حتى اليوم، وقام بتحرير ما تبقى من ثغور الشام من بعده، الملك المنصور قلاوون ١٢٨٠ - ١٢٩٠م وابنه الملك الأشرف صلاح الدين خليل الذي حرر آخر مدن فلسطين "عكا

الشامخة" ١٢٩١م. وقد ازدهر العمران في بيت المقدس في عهد المماليك البحرية، ومن بعدهم المماليك الشراكسه .

ومازالت آثارهم في المدينة الخالدة شاهداً على عنايتهم الفائقة بالعمران، ولقد بلغ عدد المدارس التي بنوها ما يزيد عن الستين مدرسة، هذا بالإضافة إلى التكايا والزوايا والمساجد والأسبلة والقلاع والحصون، وجعلوا من المدينة المقدسة نيابة يتولى إدارتها نائب عن السلطان، وتزهو على جميع مدن بلاد الشام بقداستها وعظمتها وعمرانها وازدهارها.

وتميز حكم المماليك - البحرية والشراكسة - ١٢٥٠ - ١٥١٧ م بالتسامح مع أهل الذمة، وتمتعت الأقلية اليهودية في بيت المقدس بالتسامح الإسلامي ، في الوقت الذي كانت فيه الطوائف اليهودية المنتشرة في شتى أنحاء أوروبا من اليهود الخزريين " الأشكناز" والايبيريين " السفرديم " يتعرضون للطرد والتشريد والإبادة، ولم يجدوا لهم أي ملجأ بين المسيحيين في أوروبا بعد ترحيلهم من إنجلترا على يد الملك إدوارد الأول ١٢٩٠م وتصفية ممتلكاتهم ومصادرتها، وطردهم من فرنسا في عهد الملك فيليب الجميل ١٣٠٦م بعد تجريدهم من ثرواتهم .

كما تعرض اليهود في أسبانيا على يد الملوك الكاثوليك إلى الإبادة والتشريد وبصفة خاصة بعد سقوط غرناطة ١٤٩٢م وانتهاء العهد الذهبي لليهود في ظل الحكم الإسلامي في بلاد الأندلس طيلة ثمانية قرون، عاشوا خلالها في ظل إخاء إنساني وتسامح إسلامي.

ووجد اليهود الذين شردهم ملوك أوروبا الملجأ الأمين والحماية والرعاية في البلاد العربية والإسلامية في العهدين المملوكي والعثماني.

الحكم العثماني:

وكانت بداية الحكم العثماني في بلاد الشام بعد انتصار السلطان سليم الأول في معركة مرج دابق على مقربة من حلب على السلطان المملوكي قنصوة الغوري .

وقد دخل السلطان سليم الأول إلى بيت المقدس (١٥١٧م) وأولاها عنايته، ومنحها رعايته، ورمم مبانيها، واعتنى بالمقيمين فيها، وولى على بلاد الشام بعد رحيله عنها "جان بردي الغزالي" . وبعد وفاة السلطان "سليم الأول" ١٥٢٠م تولى من بعده ابنه سليمان القانوني ١٥٢٠--١٥٦٦م الذي يعد بحق أعظم سلاطين بني عثمان. وقد ترك آثاراً عديدة في بيت المقدس، من أبرزها أسوارها التي مازالت قائمة حتى اليوم، واستغرقت عمارتها خمسة أعوام، وكذلك عدداً من القلاع والحصون والمساجد والأسبلة، كما عمر قبة الصخرة وجدران الحرم وأبوابه. كما أنشأت زوجته الروسية "روكسلانة" تكية "خاصكي سلطان".

وتابع سلاطين بني عثمان من بعد السلطان سليمان القانوني اهتمامهم ورعايتهم للمدينة المقدسة التي كانت في مطلع العهد العثماني زهرة المدائن، ومهوى أفئدة المؤمنين، ازدهرت فيها الحضارة، ونشطت حركة التجارة، وتمتعت بالازدهار وعاشت فيها

جميع الطوائف في ذمة المسلمين ورعايتهم، ومن بينها الأقلية اليهودية التي لجأت من الاضطهاد الأوروبي المسيحي إلى حمى المسلمين، فوفروا لها الرعاية والأمن والحماية، وقد زار الرحالة "أوليا جلبي" بيت المقدس في عام ١٦٧٠م ووصفها بالنص التالي :

" مدينة عظيمة على هضبة مرتفعة، هواؤها عليل، وماؤها عذب نمير، سكانها نضار الوجوه، يعيش فيها جميع أبناء مختلف الطوائف والأديان في أمن وسلام، مهوى أفئدة جميع الناس، لا من حيث قدسيتها فحسب، بل من حيث ثرواتها ووفرة حاصلاتها وخيراتها، وكثرة مدارسها وعلمائها وأفاضل الناس فيها".

اليهود لا يشكلون شعباً، وكانت الكنيسة الكاثوليكية تنظر نظرة عدائية لليهود في شتى أنحاء أوروبا وتنعتهم بقتلة "يسوع المسيح" مما أدى إلى اضطهاد اليهود باعتبارهم أعداء الكنيسة، وإيقاع المذابح بهم، وقام مارتن لوثر بتحطيم "التقليد الكاثوليكي". فقد ربط بين الصهيونية والدعوة للعودة لفلسطين، وبين معاداة السامية وهي طرد اليهود من بلده . فقد كتب عام ١٥٤٤م قائلاً: " من الذي يمنع اليهود من أن يعودوا إلى يهوذا ؟ لا أحد، ونحن نقدم إليهم ما يحتاجون من أجل سفرهم، لمجرد أن نتخلص منهم، فهم بالنسبة إلينا حمل ثقيل وهم آفة وجودنا".

وما دعا إليه لوثر وعدد كبير من رجال الدين في أوروبا وبعض كبار ساستها منذ القرن السادس عشر وحتى القرن العشرين هو ما عرف " بالصهيونية المسيحية" . وقد شكل هذا المفهوم منذ أربعة

قرون عقول الشعوب الأوروبية، وتبنته شتى الجماعات البروتستانتية في الولايات المتحدة الأمريكية في العهود اللاحقة الذي اختلط فيها التعصب الديني بالعنصرية والروح الصليبية التي دفعت ساسة أوروبا ورجال الكنيسة فيها إلى مناصرة الحركة الصهيونية، للتخلص من اليهود واستغلالهم لمصالحهم، ودفعهم إلى محاربة العرب والمسلمين، للتنفيس عن حقد صليبي قديم. وبالرغم من الدوافع المريبة لمارتن لوثر وحركة الإصلاح الديني المسيحية إلا أن دعوته التي اتسمت في ظاهرها بدعوة اليهود في العالم للعودة إلى أرض إسرائيل اكتسبت أنصاراً لها بين صفوف الجماعات اليهودية المنتشرة في أوروبا واعتبروا دعوته بعثاً لهم، عندما أكد على وجوب عودتهم إلى أرض فلسطين كمقدمة لعودة المسيح المنتظر. لهذا اعتبر كثير من الباحثين بأن المذهب البروتستانتي من صنع اليهود والماسون. كما اعتبرت الكنيسة الكاثوليكية مارتن لوثر متهوداً، من أصحاب البدع والأضاليل، وأنه زاغ عن طريق الإيمان. وقد انقسمت الجماعات اليهودية في أوروبا منذ القرن السادس عشر وحتى القرن العشرين بين أنصار العلمنة واعتبار اليهودية ديناً وليس قومية، وأن اليهود لا يشكلون شعباً ، بل يتطلب من كل جماعة يهودية أن تندمج وتتعايش مع شعوب الدول التي تعيش بين ظهرانيها، وكان من بين هؤلاء العلمانيين الواقعيين: الفيلسوف باروخ سبنيوزا(١٦٣٢ - ١٦٧٧م) الذي دعا إلى الدولة الديمقراطية العلمانية وإلى اندماج الجماعات اليهودية في المجتمعات التي يعيشون فيها، واعتبره

حاخامات "امستردام" مهرطقاً، وحاولوا قتله. وظلت دعوة سبنيوزا إلى العالمية والتسامح نبراسا يشع في شتى أنحاء أوروبا، ولاسيما ابتداء من القرن الثامن عشر الذي يعتبر بحق " قرن النور". كما كان من بين المتنورين اليهود المطالبين بالاندماج في المجتمعات الأوروبية والتعايش معها "موسى مندلسون" (١٧٢٩ - ١٧٨٦م)، وكان من دعاة حركة الهسكلاة "التنوير" واليهودية الإصلاحية التي انتشرت في شتى أنحاء أوروبا وأمريكا. وقد دعا مندلسون إلى ترك الجيتو " الحي الذي كان ينبذ فيه اليهود" وعدم العزلة والانغلاق والانفتاح على ثقافة الآخرين، وقد دعا إلى المحبة من أجل أن يعيش يهود أوروبا في سلام في مجتمعاتهم قائلاً:" لقد تحملتم نير التعصب.. اتبعوا يا إخواني طريق الحب، بعد أن عانيتم طويلاً من طريق الكراهية ". ولم تمض خمس سنوات على موت "موسى مندلسون" حتى نشبت الثورة الفرنسية ١٧٨٩م، وألغت كل تفرقة عنصرية تجاه اليهود، حيث أعلن المشرعون الفرنسيون عن قومية واحدة لفرنسا لا تنقسم، ورفض اليهود كقومية، وقبولهم جميعاً كمواطنين في المجتمع الفرنسي. ونتيجة لهذا المفهوم الجديد أكد المجمع اليهودي الفرنسي بأن اليهود في فرنسا لا يشكلون قومية، وقد عم هذا المفهوم الذي قدمته الثورة الفرنسية في أوروبا الغربية بأجمعها، واندمجوا في مجتمعاتهم بعد أن أصبحوا مواطنين كاملي المواطنة في بلدانهم المتعددة في أوروبا الغربية والوسطى، ولكن أوروبا الشرقية أبقت على "الجيتو" أي مجتمعات المنبوذين، واستمرت في اضطهاد الجماعات اليهودية، مما أدى إلى

ظهور عدد من الدجالين الذين ادعوا أنهم بعثوا لتخليص اليهود من الاضطهاد على أساس أن اليهودية قومية، وادعى كل منهم بأنه المسيح المنتظر.

المؤامرات اليهودية للتغلغل إلى بيت المقدس:

وكان من بين هؤلاء الدجالين " سبتاي زفي " المولود في أزمير بتركيا ١٦٢٦م، تتلمذ على يد الخاخام "داليا"، واستغل ما شاع لدى اليهود عن قرب ظهور المسيح، وأخذ يعد نفسه للمهمة المقدسة مستغلاً ذكاءه وثقافته الدينية الواسعة، وادعى النبوة في عام ١٦٤٨م . وأصدر البيان التالي:" سلام من ابن الله "سبتاي زفي" مسيح إسرائيل ومخلصها إلى كل فرد من بني إسرائيل، لقد نلتم شرف ومعاصرة منقذ بني إسرائيل ومخلصهم الذي بشر به أنبياؤنا وآباؤنا، فعليكم أن تجعلوا أحزانكم أفراحاً وصيامكم إفطاراً ولهواً، فلن تحزنوا بعد اليوم. أعلنوا عن فرحتكم واشكروا الذي وعدكم، فوفى بوعده، وواظبوا على عباداتكم، واعتبروا أيام المصائب والمآتم بسبب بعثي أيام شكر ومسرة، ولا تهابوا شيئاً ، فإن حلمكم لن يقتصر على أمم الأرض بل سيتعداها إلى جميع المخلوقات في أعماق البحار، فكل هؤلاء مسخرون لكم ولرفاهيتكم.

ورحل إلى استانبول ١٦٥٠م لنشر دعوته، ومنها لأثينا، وفي عام ١٦٦٣م توجه إلى القاهرة، ومنها إلى غزة التي التقى فيها بأحد أثرياء اليهود ويدعى "إبراهيم نطحان" "ناثان الغزي" الذي آمن

بدعوته، ومن غزة توجه إلى القدس في ذروة اعتقاد اليهود بقرب الخلاص وظهور المسيح المنتظر في عام ١٦٦٦.

وأرسله يهود القدس إلى مصر لجمع الأموال، وكان على رأس مستقبليه "يوسف روفائيل" أحد كبار أثرياء اليهود بمصر الذي زوده بالأموال الطائلة، وعاد إلى بيت المقدس، ووزعها على فقراء اليهود، وأعلن نفسه في عام ١٦٦٦م المسيح المنتظر. وكان الحماس لظهوره عاماً من المغرب حتى الدنمرك، ومن تركيا إلى فرنسا. وبعد عودته إلى أزمير وانتشار دعوته على نطاق واسع اعتقل وأرسل إلى استانبول، وعندما عرض عليه السلطان محمد الرابع الإسلام، أعلن إسلامه ودعا نفسه باسم " محمد عزيز أفندي " وأرسل إلى مريديه تعميماً قال فيه:" لقد جعلني الله مسلماً، أنا أخوكم " محمد البواب" هكذا أمرني فامتثلت .." وطلب من المفتي السماح بدعوة اليهود إلى الإسلام؛ وعرف أنصاره " بالدونمة " أي " المهتدين والعائدين إلى الحق " وتحولوا إلى سرطان نخر جسد الدولة العثمانية، ووصل عدد كبير منهم إلى أرفع المناصب في الدولة، وأسهموا بدور كبير في تدمير الخلافة العثمانية ومازالوا يعيثون في تركيا فساداً، وما التقارب الأخير بين تركيا وإسرائيل ببعيد " عن مؤامرات " الدونمة " . وتوفى " سبتاي زفي" ١٦٧٥م بعد أن استشرت دعوته في شتى أرجاء الدولة العثمانية. وبعد وفاته بما يزيد عن المائة سنة تقمص شخصيته يهودي يدعى يعقوب فرانك، واتبعه عدد كبير من اليهود في شتى أنحاء أوروبا، وعندما اضطهده الخاخامات تحول إلى المسيحية !

كما ظهرت الحركة الصهيونية اليهودية التي عرفت باسم "الحسيدية " التي ربطت بين الصهيونية واستعمار فلسطين، وكان من بين دعاتها: " إسرائيل بن اليعازر" ١٧٠٠-١٧٦٠م والذي عرف بالبعل "شيم توف" وابنه الأصغر "الرباني نحمان" وكانت الأقلية اليهودية في بيت المقدس خلال هذه الأحداث تتمتع بكافة الحقوق ولم تتعرض لأي اضطهاد باستثناء فترات وجيزة من الحكم العثماني على يد عدد محدود من الولاة الذين ابتعدوا عن روح الإسلام وقيمه ومثله، وظلموا سكان بيت المقدس على اختلاف طوائفهم، وكان أسوأ هؤلاء الولاة "محمد بن فروخ" الذي ولي على بيت المقدس في الربع الأول من القرن السابع عشر، وهو ابن الأمير فروخ بن عبد الله الشركسي أحد أتباع آل رضوان (العائلة الغزية المعروفة) الذين اتخذوا من مدينة غزة عاصمة لهم في ظل التبعية للدولة العثمانية ما يزيد عن مائة عام . وكان "فروخ بن عبد الله " نائباً عن آل رضوان في حكم جبل نابلس قبل أن يتولى حكمها "آل النمر" وقد حكم "ابن فروخ" مدينة القدس فترتين قصيرتين .

الحملة الفرنسية:

وكانت بيت المقدس موضع عناية ورعاية سلاطين بني عثمان وولاتهم، ولم تتعرض المدينة المقدسة وقراها بعد ابن فروخ إلى أي عنف أو عدوان حتى الحملة الفرنسية ، عندما اجتاح بونابرت ساحل فلسطين قادماً من مصر عبر سيناء من فبراير ١٧٩٩م حتى مايو من نفس العام .

وقد تصدى لقواته سكان بيت المقدس وجبل نابلس وقرى سفوح الجبال على الطريق التي تربط جنوب فلسطين بشمالها ولاسيما في "عزون" و"قاقون" وفي "مرج ابن عامر" وأوقعوا بقواته خسائر كبيرة، وتراجع مدحوراً أمام أسوار عكا. ولم يجده نفعاً وعده لليهود بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين ، لمناصرته ودعمه في حملته على مصر والشام، وحتى يزوده يهود فرنسا بالأموال لتحقيق طموحاته. وقد ذكر هذا التصريح المنسوب لنابليون بونابرت الأستاذ محمد حسنين هيكل في الجزء الأول من كتابه "المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل. " ويعلق على ذلك المؤرخ الفرنسي " هنري لورنس " قائلاً:" بأن هذا التصريح مزيف وكاذب، وأن يهود وسط أوروبا هم الذين زيفوه، ونسبوه لنابليون بونابرت"!

وكان لصمود عكا تحت قيادة أحمد باشا الجزار الدور الرئيسي في دحر العدوان الفرنسي بقيادة نابليون بونابرت وعودته إلى مصر ومنها إلى فرنسا في إحدى السفن التي اخترقت الحصار البحري البريطاني وكانت مدينة بيت المقدس آنذاك تتبع لأحمد باشا الجزار حتى سنة ١٨٠٤م، الذي اتخذ من عكا قاعدة لحكمه في جنوب بلاد الشام. وتولى من بعده سليمان باشا حتى ١٨١٩م، وبعد وفاته تولى عبد الله باشا (١٨١٩ - ١٨٣١م).

حكم إبراهيم باشا:

وقد اجتاح إبراهيم باشا بلاد الشام في عام ١٨٣١م، وبعد استيلائه على ساحل فلسطين الجنوبي صمدت عكا في مواجهته تحت

قيادة "عبد الله باشا" سبعة أشهر. وعانت بلاد الشام التي اجتاحها إبراهيم باشا من أنظمته التي فرضها على السكان، وكان من بينها التجنيد الإجباري ومساواة الذميين بالمسلمين وإزالة نفوذ الزعماء من ذوي الاقطاعات، ومن بينهم آل ماضي وطوقان وقاسم وجرار وآل عمرو. ونشبت في بيت المقدس ثورة عاتية في ٢٨ إبريل ١٨٣٤م، وحاصر الثائرون بيت المقدس في الثامن من مايو، التي وفد إليها أعداد كبيرة من المقاتلين من جبل نابلس والخليل، وظلت الثورة في بيت المقدس حتى الحادي والعشرين من يونيو ١٨٣٤م وهاجم إبراهيم باشا مدينة القدس على رأس قوات من ثلاثين ألف مقاتل، وأوقع بالثائرين خسائر فادحة، وأعدم العشرات من قادة الثورة، وظلت النقمة على حكم إبراهيم باشا في شتى أرجاء بلاد الشام، حتى اضطر على أثر التدخل الأوروبي إلى الانسحاب من بلاد الشام بعد مؤتمر لندن ١٨٤٠م وأقامت بعض الدول الأوروبية في ظل الحكم المصري قنصليات لها في بيت المقدس من بينها بريطانيا في عام ١٨٣٨م، وكانت مهمة القنصل البريطاني وفقا لتعليمات بلمرستون وزير خارجية بريطانيا توفير الحماية لليهود وتقديم العون لهم .

وقد حاول اليهود بمساعدة "موسى مونتفيوري" شراء أراض في مدينة بيت المقدس وحولها، وقام محمد علي باشا بإرسال تعليماته من مصر إلى متسلم القدس يمنعهم من " شراء أراض للزراعة ومن تعاطي الحرث والزرع لأن ذلك يخالف حكم الشريعة. ماعدا تعاطي البيع والشراء بالتجارة". كما اعتنى إبراهيم باشا ببيت المقدس بالرغم من تمرد سكانها، وأنشأ فيها " طاحونة هواء " لطحن الغلال ١٨٣٩م كما بنى زاويه عرفت بالزاوية الإبراهيمية، وعمر قلعة في وادي

الجوز، وجدد عدداً من المباني وبنى ثكنة عسكرية على مقربة من باب الخليل. وعادت بيت المقدس وبقية بلاد الشام تحت الحكم العثماني بعد انسحاب القوات المصرية بقيادة إبراهيم باشا. وأعلن السلطان عبد المجيد الأول ١٨٣٩-١٨٦٠م بتشجيع من الدول الأوروبية التي ساندته في مواجهة القوات المصرية وفرض الانسحاب عليها، مرسومين أحدهما خط "شريف كوخانة " والثاني الخط "الهيمايوني" ساوى فيهما بين جميع الرعايا في الدولة العثمانية . وتمتعت الأقلية اليهودية بحقوق متساوية مع المسلمين، وازداد النفوذ الأجنبي في الدولة العثمانية أثناء حرب القرم وبعدها (١٨٥٣ - ١٨٥٦) وبصفة خاصة النفوذ البريطاني والفرنسي، لوقوف فرنسا وإنجلترا إلى جانب الدولة العثمانية في حربها ضد روسيا القيصرية. كما تعاظم نفوذ القنصلين البريطاني والفرنسي بعد انتصار الدولة العثمانية وحلفائها على الروس، ورفعت أعلام فرنسا وإنجلترا والنمسا وبروسيا وأسبانيا على قنصليات هذه الدول في بيت المقدس . وازداد نفوذ اليهود في بيت المقدس، وأخذوا يتسترون بظل الجنسيات الأوروبية مما وفر لهم الحماية في ظل الامتيازات التي حصلت عليها دول أوروبا في فترة كانت الدولة العثمانية بحاجة إلى عون هذه الدول .

تشجيع الهجرة إلى فلسطين:

وشجعت بريطانيا الهجرة اليهودية إلى فلسطين لتحقيق تطلعاتها في الهيمنة على البلاد العربية بالتعاون مع الجاليات اليهودية ذات

الثروات الطائلة والنفوذ الواسع في أوروبا، وكان ذلك التعاون المريب في وقت برزت فيه الحركة الصهيونية في أوروبا بعد أن فشلت الحركات اليهودية الاندماجية. وقد برزت اللاسامية السياسية نتيجة اشتراك شخصيات يهودية في الحركات الاشتراكية الأوروبية أمثال "كارل ماركس" و" فردناند لاسال" و"ليون تروتسكي" و"روزا لكسنبور"وغيرهم، وانضمام أعداد كبيرة من اليهود إلى هذه الحركات الثورية .

ومن أجل القضاء على هذه الحركات عمدت بعض الحكومات الأوروبية - في شرق أوروبا بصفة خاصة- إلى تأليب الرأي العام ضدها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وإبراز دور اليهود فيها مستغلة نمو الشعور العدائي ضد اليهود. وقد برزت اللاسامية السياسية في روسيا القيصرية بعد اغتيال القيصر الروسي "اسكندر الثاني"١٨٨١م على يد عناصر ثورية من بينهم بعض اليهود . وقام القيصر اسكندر الثالث بحملة ضد اليهود، وأوقعت الشرطة الروسية وقطاعات من الروس الذين وقعوا تحت تأثير التحريض، مجازر باليهود عرفت بـ (البوكرون) في شتى أنحاء روسيا القيصرية . كما برزت اللاسامية في فرنسا في أواخر القرن التاسع عشر بعد اتهام "درايفوس" - وهو ضابط يهودي في الجيش الفرنسي- بالتجسس لحساب ألمانيا، وحكم عليه بالسجن مدى الحياة. وانقسم الرأي العام الفرنسي حيال هذه القضية إلى قسمين أحدهما مناهض "لدرايفوس" يقر بإدانته، والثاني مساند له يعتقد ببراءته التي ثبتت فيما بعد، وكان من كبار

الصحفيين والكتاب الذين دعموا درايفوس "اميل زولا"وكان يتهم المخابرات الفرنسية بالتلفيق في مقالات صحفية تحت عنوان:" إني أتهم". وقد أدت هذه الأحداث إلى بروز دعاة الصهيونية، وكان من أبرزهم الصحفي المجري النمساوي اليهودي "تيودورهرتسل" الذي تابع قضية درايفوس، ونشر نتيجة لها كتابه الشهير "الدولة اليهودية"، عارض فيه الاندماج في المجتمعات الأوروبية، وزعم بأن اليهود يكونون شعباً، ومن حقهم أن يكون لهم وطن خاص بهم، ومن الأفضل أن يكون هذا الوطن في فلسطين، كما برز عدد من دعاة الصهيونية الذين دعوا إلى الهجرة إلى فلسطين واستثمارها ومن بينهم: "موسى هس" (١٨١٢ - ١٨٧٥ م). وهو ألماني يهودي اشتراكي، نشر في عام ١٨٦٢م كتاباً تحت عنوان "روما والقدس" نادى فيه بإقامة دولة يهودية في فلسطين، "وليون بنسكر" (١٨٢١ - ١٨٩١م) وهو روسي يهودي ألف كتاباً تحت عنوان:" التحرير الذاتي" نادى فيه بقيام وطن قومي لليهود في فلسطين أو أمريكا.

كما برزت جمعيات صهيونية دعت إلى استيطان اليهود في فلسطين كان من بينها " عشاق صهيون " والتي تأسست ١٨٨٢م. وقد استغلت هذه الجمعية ما ارتكبته روسيا القيصرية من اضطهاد ومجازر لليهود لدفعهم إلى الهجرة لفلسطين. وحاولت شراء أراض في فلسطين من الدولة العثمانية، وفشلت أولى محاولاتها، وتمكنت بالرشوة والطرق الملتوية من تحقيق بعض ما كانت تتطلع إليه، وشكلت طليعة الهجرة الصهيونية الأولى إلى فلسطين، وكانت النواة

الأولى للاستيطان الصهيوني. ووصل التخطيط الصهيوني ذروته في مؤتمر بال بسويسرا الذي دعا إليه تيودورهرتسل. وتأسست المنظمة الصهيونية العالمية من أجل تحقيق هدف الحركة الصهيونية في اغتصاب فلسطين من سكانها الأصلاء، وإنشاء كيان عدواني لليهود على أرض شعب عربي عريق تعود جذوره في فلسطين إلى فجر التاريخ الانساني . وبدأت المعركة الدامية بين الحق والباطل، منذ عام ١٨٩٧م ،ومازالت قائمة حتى اليوم.. وسينتصر الحق مهما طال الزمن. ولن تستطيع أية قوة في الأرض مهما زيفت واعتدت وتطاولت أن تقهر شعباً بطلاً صمم على التحرر والدفاع عن وطنه المقدس بكل الوسائل والامكانيات. ومهما ادلهم الليل فسيشرق الفجر من جديد.

الاحتلال الصهيوني لفلسطين

يعتبر تيودورهرتسل الصحفي النمساوي المجري من كبار دعاة الحركة الصهيونية في نهاية القرن التاسع عشر، ويتضح من كتابه " الدولة اليهودية" الذي صدر في عام ١٨٩٦م تطلع قطاعات واسعة من يهود أوروبا إلى إنشاء وطن قومي لهم يتحقق عن طريق الاستيطان والاستعمار، على غرار ما كانت تقوم به الشركات الاستعمارية الأوروبية في آسيا وأفريقية. وبالرغم من معارضة دعاة الاندماج من يهود أوروبا وأمريكا، والتقدميين والاشتراكيين، ومجموعات كبيرة من الحاخامات، إلا أن هرتسل تمكن من طرح أفكاره في المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد بمدينة بال بسويسرا ١٨٩٧م بحضور (٢٠٤) مندوبين عن الجمعيات الصهيونية في مختلف أنحاء العالم. وأسفر هذا المؤتمر عن تحديد ما تهدف إليه الحركة الصهيونية وهو "إنشاء وطن لليهود في فلسطين عن طريق استعمارها والاستيطان فيها".

ومنذ المؤتمر الصهيوني الأول ١٨٩٧م وحتى وفاة هرتسل ١٩٠٤م ودعاة الحركة الصهيونية يبذلون كافة الجهود لتحقيق هذا المخطط العدواني على أرض لا يملكونها، ولا يوجد أي علاقة تاريخية لهم بها، سوى الأساطير والأوهام التي تسربت إلى عقولهم المتحجرة من التوراة المحرفة التي اعتنقها أسلافهم من الخزر والتتر والهون، واعتبروا أنفسهم الورثاء للطائفة اليهودية الدخيلة التي اندثر وجودها قبل إعلان مخططهم العدواني بما يزيد عن ألف وسبعمائة وخمسين عاماً، وكأن سكان فلسطين الأصلاء الذين عاشوا على أرضها المقدسة جيلاً بعد جيل طيلة ما يزيد عن خمسة آلاف عام لا

وجود لهم!! ولكن التطاول على الحقيقة واغفال الواقع الواضح الجلي وتزييف التاريخ هو السلعة المزيفة والدعوة الباطلة التي روجتها الحركة الصهيونية الاستعمارية الاستيطانية والتي وجدت في الدول الاستعمارية حلفاء لتحقيق تطلعاتها العدوانية في اغتصاب أرض شعب عريق في تاريخه وحضارته.

ولم يتورع هرتسل عن أية وسيلة أو اتصال دولي من أجل تحقيق مخططه الآثم، وأخفق في كل مساعيه من أجل الحصول على ميثاق دولي يمنح اليهود حق استعمار فلسطين، وحاول عدة مرات الحصول على موافقة السلطان العثماني عبد الحميد الثاني في إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، ولكنه فشل في مساعيه، ورد عليه السلطان عبد الحميد الثاني قائلاً: " لن أتنازل عن شبر واحد من هذه الأرض التي رويت بدماء شهداء المسلمين، وليحتفظ اليهود بملايينهم، وإذا ما نجح أعداء الإسلام في انهيار دولة بني عثمان، فسيحصل اليهود على فلسطين دون أي مقابل".

التسلل إلى فلسطين:

لقد أخفق هرتسل في مساعيه في الحصول على دعم دولي لاستعمار فلسطين، ولكنه نجح في المؤتمرات الصهيونية التي انعقدت منذ مؤتمر بال ١٨٩٧م وحتى وفاته ١٩٠٤م في وضع الأجهزة والأدوات لتحقيق المخططات الصهيونية، وكان من بينها " لجنة الاستعمار" و" المصرف الاستعماري اليهودي و"الصندوق

القومي اليهودي لشراء الأراضي وتدعيم الاستعمار الزراعي في فلسطين ".

لقد كان الاستحواذ على الأرض هو الهدف الرئيسي منذ عام ١٨٣٨م الذي سعى فيه موسى مونتفيوري لشراء عدة قرى حول القدس، ولكنه أخفق في مساعيه. وكانت المستوطنة الأولى في عهد السلطان العثماني عبد العزيز جنوب مدينة يافا عرفت باسم "مكفاة إسرائيل" أي "منزل إسرائيل" أنشأ فيها "تشارل نيتر مدرسة زراعية على أرض مساحتها "٢٦٠٠ دونم عام ١٨٦٨م، وقد عرفت هذه المدرسة باسم مؤسسها "نيتر" ١٨٧٠م.

وكان اليهود يحاولون التسلل إلى فلسطين والإقامة بها بكافة الوسائل. وكان تناصل الدول الأوروبية وبصفة خاصة بريطانيا يبسطون حمايتهم على اليهود الذين كانوا يتسترون بالرعوية البريطانية والامتيازات الأجنبية، مما مكنهم من إنشاء عدد من المستوطنات، كان من بينها بتاح تكفا أي "باب الأمل" ١٨٧٣م،

كما تمكنت حركة عشاق صهيون" من إنشاء مستوطنة "ريشون لزيون" ١٨٨٢م. وتتابع إنشاء هذه البؤر السرطانية بالرغم من المنع الرسمي لهم من شراء الأراضي والإقامة في فلسطين. ولكن سوء الإدارة العثمانية والرشوة والفساد والتحايل على القانون وقانون تسجيل الأراضي" الطابو" الذي صدر في عام ١٨٥٨م الذي مكن عائلات اقطاعية من أغنياء بيروت من شراء أخصب أراضي فلسطين في مرج ابن عامر بقيمة ثمانية قروش للدونم الواحد، وكان

من بين هذه العائلات التي لا تمت لفلسطين بأدنى صلة أمثال عائلات " بسترس وسرسق وتويني ومتى وفرح وخوري، الذين باعوا ما اشتروه من أراضٍ في فلسطين لليهود دون أي رادع من إحساس وطني أو ضمير، وشردوا عشرات الآلاف من الفلاحين، مما خلق صحوة مبكرة في مواجهة هذا الاستيطان المدمر ومقاومة شعب فلسطين للمستوطنين الذين أصبحوا خطراً داهماً يهدد وجودهم، وينتزع منهم وطنهم على يد حثالة من الوسطاء والإقطاعيين الفاسدين، وتنبهت الدولة العثمانية لهذا الخطر السرطاني الذي يهدد الوجود الفلسطيني، وقام السلطان العثماني عبد الحميد الثاني بتعيين "رؤوف باشا متصرفاً للقدس ١٨٧٦-١٨٨٨م لوقف الهجرة اليهودية والاستيطان اليهودي. وقد نجح هذا المتصرف الذي عرف باستقامته في حماية بيت المقدس ومنع اليهود من الاستقرار فيها، وواصل ملاحقة بائعي الأراضي بالتعاون مع المتنورين من العرب الذين كانوا يتصدون للهجرة اليهودية سواء بتقديم الاحتجاجات أو بالهجمات على المستوطنات اليهودية.

وقد نجح رؤوف باشا متصرف القدس في منع بيع أية أراضٍ لليهود أو وسطائهم، وظلت هذه السياسة مطبقة طيلة عهد عبد الحميد الثاني ١٨٧٦- ١٩٠٩م بالرغم من كل ما بذله "هرتسل" من مساعٍ حتى وفاته ١٩٠٤م من أجل استعمار فلسطين واستيطان اليهود. وقد نجح دعاة الصهيونية وعملاؤهم وأنصارهم من قناصل الدول الأجنبية من إحراز بعض المكاتب وإنشاء بعض المستوطنات عن طريق الرشوة والتحايل وتهجير عشرات الالآف من اليهود إلى

فلسطين. وكان عدد اليهود في فلسطين في عام ١٨٠٠م "خمسة آلاف"، وفي عام ١٨٥٠م "عشرة آلاف"، وفي عام ١٨٨٢ " عشرين ألفاً"، وكانت حصيلة الموجة الاستيطانية الأولى من ١٨٨٢-١٩٠٣م "خمسة وعشرين الفاً" أما حصيلة الموجة الثانية ١٩٠٤-١٩١٤م فقد بلغت حوالي الأربعين ألفاً من المهاجرين اليهود، ويعود السبب في هذه الأعداد الكبيرة من المهاجرين إلى فلسطين إلى انهيار نظام عبد الحميد الثاني وإسقاطه على يد حركة الاتحاد والترقي ١٩٠٩م التي كان عدد كبير من زعمائها من يهود الدونمة.

وأسس المستوطنون اليهود في عام ١٩١٠م مدينة تل أبيب شمال مدينة يافا العربية.

الحرب العالمية الأولى:

كان عدد اليهود في فلسطين في عام ١٩١٤م" "ثمانين ألفاً"، وقد انخفض هذا العدد إلى "ستين ألفا" خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨م.

وقد عانى سكان فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى التي انضمت فيها الدولة العثمانية إلى ألمانيا وحلفائها، من التجنيد الإجباري والمجاعة ومآسي الحرب. وقاوم الأتراك مقاومة بطولية في مواجهة قوات بريطانيا وحلفائها بقيادة الجنرال اللنبي في معركة غزة وعلى مشارف بيت المقدس، وقد أسفرت هذه الحرب عن هزيمة ألمانيا وحلفائها. وانسحبت القوات العثمانية من بيت المقدس في

١٩١٧/١٢/١١م. ودخل الجنرال اللنبي "المدينة المقدسة" دخول الفاتحين وفي ركابه "الفيلق اليهودي" الذي اشترك مع قوات بريطانيا وحلفائها في معركة غزة وفي احتلال بقية أرجاء فلسطين. وكانت بريطانيا قد وعدت شريف مكة" الشريف حسين بن علي " بجعله ملكاً على البلاد العربية، وفق شروط تم الاتفاق عليها مع هنري مكماهون المندوب السامي البريطاني في مصر. وخدع شريف مكة بهذه الوعود الزائفة، وأعلن الثورة على الدولة العثمانية في ١٩١٦/٦/٢٦، واشتركت القوات التي حشدها بقيادة ابنه فيصل والجاسوس البريطاني لورنس باستنزاف القوات العثمانية شرقي الأردن ومساندة قوات اللنبي الزاحفة عبر فلسطين. وفي نفس العام الذي اتفقت فيه بريطانيا عن طريق معتمدها "هنري مكماهون" المندوب السامي في مصر مع الشريف حسين، اتفقت مع فرنسا على تقسيم بلدان الشرق الأدنى" بلاد الشام والعراق" فيما بينهما وفقاً لاتفاقية سايكس بيكو الموقعة بين البلدين، كما وعد بلفور وزير خارجية بريطانيا روتشيلد أحد كبار الأثرياء اليهود " بوطن قومي لليهود في فلسطين في الثاني من نوفمبر ١٩١٧م وبعد أن انتهت الحرب العالمية وذيولها، وبدأت الإدارة المدنية في فلسطين، قامت الحكومة البريطانية بتولية الصهيوني "هربرت صموئيل كأول مندوب سام لفلسطين ١٩٢٠-١٩٢٥م من أجل تنفيذ وعد بلفور الغاشم.

وقاوم شعب فلسطين المؤامرة الاستعمارية الصهيونية على وطنه، وكان من أولى الثورات التي اشترك فيها أهل بيت المقدس مع بقية

أبناء فلسطين "ثورة البراق" ١٩٢٩م، وقد دعيت بهذا الاسم نسبة للحائط الغربي للمسجد الأقصى، والذي عرف باسم "البراق" نسبة إلى البراق الذي امتطاه الرسول الأعظم محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وسلامه عند إسرائه وعروجه إلى السماء.وما زال المكان الذي استقر البراق فيه، داخل غرفة بالحائط يعرف بـ "مسجد البراق"، ويدعو غلاة الصهاينة هذا الحائط "بحائط المبكى" زعماً منهم بأنه البقية الباقية من هيكلهم المزعوم، بالرغم من معرفتهم بأن الإمبراطور الروماني هادريان دمّر كافة مباني الطائفة اليهودية التي لا تمت لهم بصلة بعد ثورة باركوخبا " ابن الكوكب" الذي ادعى أنه المسيح المنتظر ١٣٥م. وأبيدت تلك الطائفة المتمردة إبادة كاملة واندثر كل أثر لها، وأطلق على بيت المقدس اسم "ايليا كابتولينا".

ولو كان لليهود أي هيكل في فلسطين لحافظ عليه المسلمون كما حافظوا على المقدسات المسيحية بعد العهدة العمرية ٦٣٨م. ومما يدعو للتقزز والاشمئزاز هذه الادعاءات الصهيونية الباطلة وتزييف التاريخ من قبل دعاة الصهيونية من الإشكناز من يهود الخزر من غلاة المستوطنين الذين يدعون الانتماء إلى طائفة يهودية دخيلة مثلهم اندثر وجودها قبل ألفي عام بينما آثارنا وبيوتنا ومساجدنا وأرضنا ووطننا يغتصب ويستباح أمام أعيننا، وكأننا أموات لا وجود لنا.

لقد حافظنا على المقدسات اليهودية عبر تاريخنا العربي الإسلامي، ووفرنا الحماية والرعاية والأمن للطوائف اليهودية في

مشرق العالم الإسلامي ومغربه، في الوقت الذي كانت فيه شعوب أوروبا المسيحية تضطهد الطوائف اليهودية، وتوقع بهم المذابح حتى الحرب العالمية الأولى، وها هي أوروبا قد تخلصت منهم، وشعبنا الذي يدفع ثمن المؤامرة الدولية على أمتنا العربية المستهدفة.

ثورة البراق:

وعلى إثر الاضطرابات التي وقعت في عام ١٩٢٩م وعرفت باسم ثورة البراق أرسلت الحكومة البريطانية لجنة للتحقيق، وفي مايو ١٩٣٠م وافق مجلس عصبة الأمم على تشكيل لجنة تحقيق من :" أليل لونغرن" وزير خارجية السويد، وشاس بارد نائب رئيس محكمة العدل في جنيف، وس. فان كمبين أحد أعضاء البرلمان الهولندي، وأصدرت اللجنة تقريرها بعد تحقيق دقيق في الأول من شهر ديسمبر ١٩٣٠م. وقد تضمن قرارها الذي وافقت عليه الحكومة البريطانية وعصبة الأمم والذي يعتبر وثيقة دولية ما يلي:

"إن حائط المبكى أثر إسلامي مقدس، وإن كل حجر ومدماك فيه طولاً وعرضاً، بما فيه الرصيف المقابل له داخل أسوار المدينة ملك عربي وأثر إسلامي خالد، لاحق إطلاقاً وشمولاً لليهود في ملكية أية ذرة من ذراته. وإن كل ما لليهود من حق هو مجرد الزيارة ليس إلا، وهذا الحق منبعه التسامح الإسلامي، وأنه لا ينطوي على أي نوع من أنواع الملكية لليهود". وكان عدد اليهود قد ارتفع ما بين عامي ١٩١٧-١٩٣١م إلى ١٧٤ ألفاً" يشكلون نسبة ١٨٪ من مجموع سكان فلسطين الذي وصل تعدادهم في عام ١٩٣١م حوالي المليون.

وازدادت أعداد القادمين منهم إلى فلسطين نتيجة لوصول الحزب النازي إلى الحكم في ألمانيا، وبلغ عدد المهاجرين من ألمانيا وبولونيا بصفة خاصة حتى عام ١٩٣٩م حوالي "٢٢٩ ألفاً" وقد أدت هذه الهجرة الواسعة النطاق إلى تهديد الوجود العربي الفلسطيني، ونشبت نتيجة لذلك ثورة ١٩٣٦م التي تواصلت حتى نشوب الحرب العالمية الثانية. وكانت بيت المقدس مركز القيادة السياسية للثورة الفلسطينية، وقدم شعب فلسطين آلاف الشهداء دفاعاً عن وطنه، ووقف إلى جانبه، وقدم له العون أبناء الأمة العربية دفاعاً عن عروبة فلسطين ومقدساتها حتى نشبت الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩م، وأصدرت بريطانيا الكتاب الأبيض، وتعهدت بموجبه وقف الهجرة اليهودية من أجل وقوف العرب إلى جانبها في الحرب العالمية الثانية، ولكن الهجرة اليهودية لم تتوقف، وبلغ عدد اليهود في فلسطين في عام ١٩٤٧م حوالي "٦٠٠ ألف"، واستغلت الحركة الصهيونية نشوب الحرب العالمية الثانية، وروجت الادعاءات الكاذبة عن المذابح التي أوقعها النازيون باليهود "الهولوكوست" في الوقت الذي كان فيه عدد من غلاة الصهاينة يخططون مع النازيين، ومن بينهم شامير.

قرار التقسيم:

•وصدر قرار التقسيم في ١٩٤٧/١١/٢٩م، وقد استعد الصهاينة للمواجهة، وأعدوا فيلقاً يهودياً تمرس خلال الحرب العالمية الثانية، تجاوز عدده الستين ألف مقاتل، وحولوا مستوطناتهم إلى قلاع حصينة. ولم تكن القيادة الفلسطينية مؤهلة لقيادة هذا الصراع

المصيري. و لم يعط الشعب الفلسطيني الفرصة والامكانيات لاظهار بعض ما لديه من قدرات، كان بإمكانها لو ظهرت أن تغير مجرى التاريخ. وبالرغم من المؤامرات الدولية، وتدخل الجيوش العربية بشكل مرتجل، وشل فعالية الشعب الفلسطيني، فقد ضحى هذا الشعب في سبيل وطنه ما أمكنه ذلك في أقسى الظروف وأصعبها بما توفر له من إمكانيات محدودة، ومع ذلك فقد حقق انتصارات باهرة وخاض معارك بطولية كان من بينها معركة القسطل على مشارف بيت المقدس. في الوقت الذي كانت فيه القوات الصهيونية تتلقى العون العسكري والدعم والإسناد السياسي من الدول الرأسمالية والاشتراكية، وقد أسفرت هذه الحرب التي كانت بحق مؤامرة ومهزلة عن هزيمة للأمة العربية، وعن ضياع معظم أراضي فلسطين الساحلية الصالحة للزراعة. و لم يبق للفلسطينيين سوى الضفة الغربية الجبلية وقطاع غزة الصحراوي، وفرضت هدنة رودس في فبراير ١٩٤٩م. وأعلن اليهود قيام كيان إسرائيلي، بينما ظل شعب فلسطين ممزقاً إلى كيانين:

•قطاع غزة الذي أشرفت عليه إدارة مصرية حتى عام ١٩٦٧م.

والضفة الغربية التي ضمت إلى الأردن بعد مؤتمر أريحا ١٩٤٩م. وشلت فعالية شعب فلسطين وقدراته. بينما ترسخ الوجود اليهودي في فلسطين التي تحولت إلى ترسانة أسلحة بما تلقته من دعم من الدول الاستعمارية وبصفة خاصة الولايات المتحدة الأمريكية، مما مكنها في عام ١٩٦٧م من إيقاع هزيمة ساحقة بالأمة

العربية والاستيلاء على فلسطين بأجمعها. وبعد استيلائها على بيت المقدس بأيام معدودات أعلنت ضمها إلى الكيان الإسرائيلي واعتبارها العاصمة الأبدية لهم. كما استولت على شبه جزيرة سيناء والجولان وجنوب لبنان.

وتصدى الشعب الفلسطيني للمستعمرين الصهاينة بكل ما توفرت لديه من إمكانيات، وقدم أسمى التضحيات وفي عام ١٩٧٣م حققت الأمة العربية بتحالف مصر وسوريا ودعم عربي واسع النطاق نصراً محدوداً.

اتفاقات السلام:

وكانت نقطة التحول الكبرى اتفاقية كامبد ديفيد ١٩٧٨م التي وقعتها مصر واستعادت نتيجة لها شبه جزيرة سيناء.

وتواصل الصراع مع العدو الغاصب الذي أسفر نتيجة للتغيرات في موازين القوى الدولية وحرب الخليج المدمرة ١٩٩٠م وانهيار الاتحاد السوفيتي والمنظومة الاشتراكية، وبروز دور الولايات المتحدة كقوة عظمى منفردة في الساحة الدولية وتحكم قوى الضغط اليهودية وعلى رأسها (إيباك) وتأثيرها الكبير على القرار السياسي الأمريكي، كل هذه السلبيات أدت إلى دفع المفاوض الفلسطيني إلى مؤتمر مدريد الذي أسفر عن اتفاقيات من بينها اتفاقية أوسلو ١٩٩٣ التي لم ترتكز على أرض صلبة ودون أية ضمانات تمكن الشعب الفلسطيني من العيش بسلام، يحقق تطلعاته في دولة مستقلة عاصمتها القدس . وهاهو الشعب الفلسطيني بعد أربعة أعوام من توقيع هذه الاتفاقيات

يعاني من القهر والحصار والتجويع، أرضه تنتهب، وكرامته تهدر ومخططات تهويد القدس تطبق خطوة بعد أخرى، لهذا ينبغي على هذا الشعب الذي ظل يكافح هذه الهجمة الاستعمارية الاستيطانية منذ مائة عام، وما زال شامخاً في ميدان الكفاح على أرض الرباط والجهاد، أن يتلاحم مع قيادته في جبهة واحدة متماسكة، ومع أمته العربية المجيدة في مخطط قومي واحد، ومع الأمة الإسلامية كعمق استراتيجي في تحالف مصيري من أجل الخروج من هذا النفق المظلم، وتحقيق ما يطمح إليه الشعب العربي الفلسطيني من عزة وكرامة تحت راية دولة عربية حرة مستقلة عاصمتها القدس العربية.

إن على المحتلين والذين عانوا طويلاً من الاضطهاد كما يدعون، ألا يضطهدوا غيرهم، وأن يحترموا حقوق الآخرين، وأن يعوا تماماً بأن السلام لا يتجزأ، ومن لا يوفر الأمن والسلام لغيره لن يعيش في سلام أبداً، والذي يستهين بخصمه ويتطاول يعرض نفسه للاندثار. والفرص المواتية متاحة للجميع في الغابة الدولية. وإذا لم يتحقق السلام المنشود الذي هو لمصلحة الطرفين المتصارعين فسينزلق الشرق الأوسط بأجمعه في دوامة عنف وسفك دماء لن تتوقف أبداً.

فعلى من يّدعون بأنهم أنصار السلام والراغبين في تحقيقه أن يسارعوا قبل فوات الأوان إلى تحقيق حل عادل، يضمن مصالح الطرفين، ويحقق الأمن والسلام وحسن الجوار، وإذا أخفق العقلاءوتحكم الجشع والغباء فلن تسلم دولة واحدة في العالم إذا ما انفجر البركان، وليكن بعدنا الطوفان.

فلسنا وحدنا في التصدي لهذا العدوان والتطاول على حقوقنا وقيمنا وإنسانيتنا وحريتنا، فنحن جزء أصيل من أمة عربية ذات تاريخ مجيد وحضارة إنسانية كبرى، كما يمثل قلب العالم الإسلامي بكل ما فيه من قوة وعزة ونصرة وأخوة أبدية لا تنفصم عراها أبداً، وستكون العمق الاستراتيجي لكفاح شعبنا البطل على أرض دولتنا العربية الفلسطينية الحرة المستقلة وعاصمتها القدس، أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، قلعة العروبة والإسلام الشامخة، التي ستظل عربية إسلامية إلى الأبد.

الفهرس

- القدس مدينة السلام ٩
- الفلسطينيون ٢٣
- قلعة الاسلام ومدينة السلام ٤٩
- يهود الخزر ٥٧
- الحروب الصليبية والمؤامرات اليهودية على بيت المقدس..... ٦٧
- الاحتلال الصهيوني لفلسطين..... ٨٥

هذه السلسلة

كتيب ((بيت المقدس عبر العصور التاريخية)) هوالكتيب الرابع ضمن سلسلة الجرمق.

هذه السلسلة غير دورية تحتوي أهم المقالات أو الدراسات التي تعالج قضايا المجتمع السياسية والاجتماعية والاقتصادية ويستفيد منها القارئ الفلسطيني والعربي آملين أن نتمكن من الاستمرار والتطوير لأن هدفنا هو الوصول إلى نتائج مرجوة تربوية سياسية ووطنية على طريق الأهداف الواضحة .

مما لاشك فيه أن تعقيدات المسيرة والتحديات كبيرة وكثيرة، وأن الأمر يحتاج دائماً إلى وضوح الرؤية والانطلاق من المبادئ لمعالجة الوقائع وحقائق الحياة وأحداثها. فالانطلاق من الواقع بهدف الوصول به إلى ماهو أرقى وأكثر تقدماً و تحقيقاً للمعاني والأهداف السامية قانون لكل تطلع جاد حقيقي يواجه معطيات التطبيق .

إن غايتنا هي الحرية والمساواة والتقدم والسلام القائم على العدل للإنسان، وهدفنا إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس المرتبطة تاريخياً وعضوياً بعمقها الحضاري القومي العربي، هدفنا بلوغ الحرية الحقيقية والاستقلال المتكافئ مع استقلال الدول الأخرى والسيادة المتكافئة مع سيادة الدول الأخرى وذلك على طريق ماهو أكثر تحقيقاً للحلم الفلسطيني وماهو أكثر اقتراباً من الغاية التي تتوخاها انطلاقاً من حس الانسان ورسالة الانسان .

من أجل ذلك لابد لهذه السلسلة أن تحاول وأن تقدم مايمكن الاسهام به لأن التراكم هو قانون التقدم

إصدارات مركز الرأي للإعلام والنشر :

(١) مجلة الرأي :
مجلة أسبوعية سياسية اجتماعية اقتصادية شاملة، تصدر شهرياً مؤقتاً، وتهتم بمعالجة القضايا المحلية والاقليمية والدولية إضافة إلى الأبواب الثابتة الأخرى.

(٢) ملاحق الرأي :
ملاحق غير دورية تتابع الأحداث والقضايا الساخنة والملحة.

(٣) نشرة الرأي :
نشرة أسبوعية تتناول أهم الموضوعات والتحليلات السياسية المنشورة في الصحف والمجلات المحلية والعربية والتي تواكب الأحداث على المستوى المحلي والعربي والدولي .

(٤) سلسلة الجرمق :
سلسلة كتيبات تشمل المقالات الفكرية والدراسات والتقارير والندوات الهامة. وكل ما يهم أبناء الشعب الفلسطيني .

سلسلة الجرمق

تصدر عن مركز الرأي للإعلام والنشر
غزة – تلفاكس : ٢٨٢٩٦٣٢ ٢ – ٠٧

مكتبة
د. عصام ناجي سيسالم